

العنوان:	أزمة العلاقة بين القادمين الجدد من الفرنج والفرنج المستوطنين في بلاد الشام (1099 - 1291م / 492 - 690 هـ )
المصدر:	مجلة كلية الآداب - جامعة بنها - مصر
المؤلف الرئيسي:	هلول، ممدوح محمد مغازي
المجلد/العدد:	ع 12, ج 2
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2005
الشهر:	يناير
الصفحات:	693 - 798
رقم MD:	421237
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	AraBase
مواضيع:	الشرق الأوسط، التاريخ الاسلامي، الحروب الصليبية، الفرنج، الاستعداد العسكري، المشاكل السياسية
رابط:	<a href="http://search.mandumah.com/Record/421237">http://search.mandumah.com/Record/421237</a>

أزمة العلاقة بين القادمين الجدد من الفرنج  
والفرنج المستوطنين في بلاد الشام  
(١٠٩٩-١٢٩١م/٤٩٢-٦٩٠هـ)

د/ ممدوح محمد مغازى هلول  
مدرس تاريخ العصور الوسطى  
كلية الآداب - جامعة بنها



## مقدمة :

الحروب الصليبية ظاهرة من الظواهر المهمة التي شغلت تاريخ العصور الوسطى عامة، وتاريخ الشرق الإسلامي وغرب أوروبا بصفة خاصة، ورغم كثرة الدراسات التي تناولت أحداث هذه الحروب فما يزال الكثير من جوانبها يحتاج إلى الدراسة والبحث .

ونحن بصدد ظاهرة أفرزتها تلك الحروب الصليبية بأحداثها وتفصيلاتها، وهي ظاهرة تتعلق بطبيعة العلاقة بين طرفي المجتمع الصليبي الذي تكون في بلاد الشام، تلك المجتمع الذي شمل الفرنج الذين استوطنوا وعرفوا حياة الشرق بعد كونهم به فترات طويلة والذين تأثروا بطابع الحياة فيه من خلال علاقتهم بجيرانهم المسلمين أو حتى بمسيحي الشرق، والطرف الآخر الذي مثله فريق القادمين الجدد أو ما يمكن أن نسميهم إفرنج الحملات، الذين جاءوا بهدف تحرير الأراضي المقدسة من المسلمين، وعرفوا بالتهور والتعصب والهوج، وهي أمور أدت إلى كثير من المشكلات للمستوطنين الأوائل من الفرنج

تبدو مهمة هذا البحث في محاولة استعراض الأزمات والمشكلات التي نجمت عن العلاقة بين هذين الفريقين الصليبيين لبيان كيف تحول شعور الفرخ لدى المستوطنين المنتظرين مساعدة من الغرب إلى ضيق ورغبة في التخلص من القادمين الجدد، وكيف أدى ذلك إلى حدوث توتر في العلاقة بين الطرفين .

كان من الطبيعي أن نبدأ هذا البحث بالحديث عن تكوين المجتمع الفرنجي في الشرق، ومتى وكيف ظهرت أزمة العلاقة بين طرفي هذا المجتمع؛ ثم نتحدث عن نوعيات الوافدين حديثاً إلى الشرق الفرنجي والظروف التي دفعتهم إلى المجيء، ويعقب ذلك الحديث إلى المساعدات التي قدمها هؤلاء الوافدين الجدد إلى المستوطنين، والنتائج التي ترتبت عليها، في محاولة لإظهار الجانب السلبي لهؤلاء القادمين من خلال الأزمات التي أثاروها للفرنج في الشرق . وكان طبيعياً من خلال الأزمات التي أثارها الوافدون الجدد والكوارث التي ترتبت عليها، أن نختم البحث بتحديد وتحليل الأسباب والذوابع التي أدت إلى حدوث الصراع بين

السكان إذ كانت مكاناً للزيارة والتفديس فقط، بينما كانت المدن الساحلية مثل يافا، عكا، صور، وبيروت قد تكيّفت بسرعة مع الظروف الجديدة للحياة، حيث جذب القادمون الجدد إليها إمكانيات المكسب وأسباب الرزق والعيش<sup>(١)</sup>.

والملاحظ أن معظم هؤلاء القادمين من الحجاج الفرنج الأوائل كانوا قادرين على حمل السلاح، ويسعدون بفعل ذلك - كما يقول المؤرخ المحدث يو.تى هولمست Holmest, U.T. إذ يذكر أنهم أقدموا على تلك المشاركة عن اقتناع بأن عملهم هذا يعد من أعمال البطولة، ووسيلة للتكفير عن ذنوبهم يحقق رغبة أصيلة لديهم في سحق المسلمين<sup>(٢)</sup>.

بينما يشير جاك دو فيتري Jacques de Vitry إلى أن هؤلاء الأوائل كانوا ما يزالون فقراء، ومنهكين من المتاعب لذا لم يجد الشيطان سبيلاً إليهم<sup>(٣)</sup>.

أياً ما كان طابع هؤلاء الحجاج والقادمين الجدد، فقد كان من الأمور المهمة للمملكة الصليبية في بيت المقدس وتوابعها، بل من المسائل الحيوية استهواء رجال من أوروبا قادرين على القتال، ويرغبون في الاستيطان. وقد بلغ من تساهل سكان المملكة أن قدموا تسهيلات إلى المهاجرين من الطبقات الدنيا وصلت إلى حد إعفائهم من بعض الأمور التي مكنتهم من

(1) Praver, Op.Cit, Loc. Cit.

والحقيقة أنه نتيجة لمودة الكثيرين إلى أوروبا فقد ظلت مدينة القدس تعاني نقصاً حاداً في السكان، حتى أن عددهم لم يكن كافياً للدفاع عنها ضد المسلمين إذا ما فكروا في الهجوم عليها. انظر :

Pernoud, R.. The Crusades, Trans by, Ernndid Mcleod, London, 1962, P. 50.

(2) Holmes, U.T.: Life Amongst the Europeans in Palestine and Syria in Twelfth and Thirteenth Centuries, in Setton, U.S.A., 1977, Vol.IV, p.4.

(٣) يعقوب الفيتري : تاريخ بيت المقدس، ترجمة سعيد ليشاوي، الأردن، ١٩٩٨، ص ٩٩ بينما يشير وليام الصوري، إشارة غريبة تتنافى مع الحماس الصليبي في بداياته، حيث يشير إلى أن الحجاج للواصلين حديثاً عندما رأوا حالة الضعف، ووضع المملكة المينوس منه عادوا إلى بلادهم حالما وفوا بنزورهم خشية للتورط في الكوارث ذاتها، انظر : وليام الصوري : تاريخ الحروب الصليبية، الأعمال المنجزة فيما وراء البحار (١١٣٠-١١٨٥) نقله إلى العربية، سهيل زكار، دمشق، ط١، ١٩٩٠، ج١، ص ٥٠٤.

البقاء والاستقرار<sup>(١)</sup>، كانت عملية الإحتلال الصليبي تتم من خلال المستوطنين المهاجرين القادمين الذين يحلون محل السكان المحليين من المسلمين بهدف خلق مجتمع قابل للنمو، إذ استطاع القادمون الجدد من الأوربيين القيام بكل المهام الاقتصادية والوظائف الاجتماعية... إلخ<sup>(٢)</sup>. ولقد لعبت مسألة الاستغاثة والرغبة في الحصول على الدعم والمساندة عند الصليبيين الأوائل دورها في جلب الكثير من العناصر، والدليل على ذلك أن الدويلات التي أقامها الصليبيون الأوائل ما كان لها أن تبقى تلك المدة التي قاربت على القرنين، إلا بفضل الموجات المتعاقبة التي جاءت لنجدتهم على شكل حملات صليبية جديدة<sup>(٣)</sup>.

(١) تمثلت هذه التسهيلات والإعفاءات في القانون الذي صدر في عهد الملك بلدوين الثالث وهو قانون Assise du coupapparent والذي أعنى بمقتضاه الحجاج الفقراء من تقديم شاهد إلى المحكمة، حيث يصعب على هؤلاء المهاجرين الفقراء الجدد تأمين الشهود المطلوبين لبيان أسبقيتهم في المجيئ وأحقيتهم في البقاء والاستقرار، انظر : ماير، المرجع السابق، ص ٢٢٦ .

(٢) براور : الاستيطان الصليبي في فلسطين، مملكة بيت المقدس، ترجمة عبد الحافظ البنا، القاهرة، ط١، ٢٠٠١، ص ٦٠١ .

(٣) يقول المؤرخ مجهول لحملة ريتشارد كان الترحيب بالقادمين الجدد نجدة لرجالنا، جاءتهم في لحظة ضيق مطبق... إننا لنفرح بما يسعنا إذا صلينا، لكن الأمر الذي هو أكثر فرحاً هو ما يأتينا على غير انتظار، وإن كنا أكثر شكرياً لمن يأتي لمساعدتنا في ساعات الضيق الحرجة والبلوى، لا سيما حين تبلغ البلوى أشدها، وتتأزم الظروف، وتستحكم حلقات الشدة التي لا يظن معها أنه سيكون هناك فرج أبداً، انظر : مؤرخ مجهول، الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد) ترجمة وتعليق حسن حبشي، الهيئة العامة للكتاب بالقاهرة، ٢٠٠٠م، ج١، ص ٩١. والجدير بالذكر أن المؤرخ ميشال بالار أشار إلى أنه خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر كانت المغادرات إلى الأرض المقدمة تحدث في فترتين في العام، في الربيع حيث تمتد من ١٥ مارس إلى أول مايو والثانية تحدث فيما بين ١٥ أغسطس و ٣٠ سبتمبر، وقد تمتد بشكل استثنائي إلى ١٥ أكتوبر. للتفاصيل انظر: م. بالار: الحملات لصليبية والشرق اللاتيني من القرن الحادي عشر إلى القرن الرابع عشر، ترجمة شير السباعي، القاهرة، ط١، ٢٠٠٣م، ص ٣٠٥. وانظر أيضاً : سميل : فن الحرب عند الصليبيين في لقرن الثاني عشر (١٠٩٧-١١٩٣) ترجمة محمد وليد الجلاذ، دمشق، ١٩٨٥، ص ٣٤ .

كانت هناك دوافع عدة يمكن من خلالها تفسير رغبة الصليبيين المقيمين في الاستعانة بالمهاجرين القادمين من أوروبا، قابليتها على نفس الدرجة دوافع لدى القادمين الجدد في القنوم إلى الشرق اللاتيني يمكن حصرها فيما يلي :

- الإحساس بالقلّة العددية وسط محيط عربي مسلم مكون من عدة ملايين، بينما ما بقي من المحاربين لا يتعدى بضعة آلاف وهذا يفسر السلسلة الطويلة من طلبات الاستغاثة التي كانت توجه إلى الغرب الأوربي للحصول على المساعدات البشرية والمادية<sup>(١)</sup>.
- الإحساس بالخوف والهلع الشديد وهو أمر يدفع إلى التعاون والمساندة والتكاتف بدلاً من الصراع والتناحر، وهذا الشعور عبر عنه فوشيه دوشارتر Foucher De Charters حين ذكر : "عندما كنا نسمع عن وصول أي قائم جديد يغمرنا الفرح وخاصة إذا بقي؛ لأن المدينة لم يكن بها ما يكفي للدفاع عنها من الناس"<sup>(٢)</sup>.

---

(١) يقول فوشيه دوشارتر "كنا نخشى لثلاث يعرف أعداؤنا قلة عددا، فيطبقون علينا في وقت ما من جميع الجهات في هجوم مفاجئ بحيث لا يمكن لأحد أن يساعدنا سوى الرب" انظر : فوشيه دوشارتر : الوجود الصليبي في الشرق العربي، الاستيطان الصليبي في فلسطين، تاريخ الحملة إلى القدس (١٠٩٥-١١٢٧)، ترجمة قاسم عبده قاسم، الكويت، ط١، ١٩٩٣م، ص١٨٧، وانظر أيضا: سميل : المرجع السابق، ص ١٦٨.

(٢) حالة الخوف يجسدها بشكل واضح ما قام به بوهمند للنورماندي في يناير ١١٠٥/٤٠٩هـ حين حين ارتحل إلى أبوليا، ثم ذهب إلى فرنسا لتجنيد الرجال سنة ١١٠٦/٥٠٠هـ وعاد بأكثر عدد ممكن من الرجال إذ بلغ عددهم خمسة آلاف فارس وستين ألفا من المشاة كما أشار فوشيه، انظر: فوشيه دوشارتر : المصدر السابق، ص ١٨٦، ٢٣٤؛ كما يجسدها أيضا تنال ملك بيت المقدس بلدوين الأول إلى سيجورد "الشاب النرويجي" الذي قدم لزيارة الأرض المقدسة كي يبقى لمساعدته في الدفاع عن الأرض ودحر المسلمين، انظر : فوشيه : المصدر السابق، ص٢٤١-٢٤٢

- الحاجة إلى الوحدة السياسية؛ فلم تكن هناك أي وحدة أو أي ائتلاف مبدئى، والشعور بالتضامن لم يكن فاعلاً لى تهب دول لنجدة دولة فى حالة للخطر إلا فى حالات استثنائية<sup>(١)</sup>.
- الحاجة إلى الأمن السياسى والاقتصادى. فالأمن كان شيئاً أشبه بالسراب، خاصة مع هجمات المغاومة الإسلامية التى أخذت شكل حرب العصابات فى العصر الحديث، وخاصة على الحجاج للذين قنموا للدولة فى رعاية الكيان الصليبي<sup>(٢)</sup>.
- الإحساس بالمسئولية الجماعية وخطورة حدوث انشقاقات أو تفتتت قياساً إلى حالة التشترنم التى كان عليها المسلمين، وهو أمر أدى إلى الحاجة إلى ظهور جنود الميدان وخاصة فى حالة إذا ما تمكن المسلمون فى أى معركة من هزيمة الجيش الصليبي، ساعتها ستكون كل الأماكن الاستراتيجية القوية فى بؤرة الخطر، وربما تركت بدون مدافعين عنها بشكل واضح، وهذا ما حدث عندما غزا صلاح الدين أراضي المملكة فى عام ٥٧٩/١١٨٣هـ، لولا أن تدارك الصليبيون الأمر فقللوا من مخاطر المعركة وتبعاتها<sup>(٣)</sup>.
- لتخفاض الروح المعنوية المترتب على قلة العدد واليأس من مجيئ مساعدات، إذ أن صبر الحامية المحاصرة فى قلعة ما كان ينفذ ومعنوياتها تضعف إذا علمت أنه ليس من المتوقع قنوم جيش لنجدها، بينما تزداد فاعلية الدفاع كثيراً إذا ما وجد جيش فى الأرجاء قائم لنجدة الحامية أو لإنهاك للقائمين على الحصار<sup>(٤)</sup>.
- كان مستوى الإيمان بالفكرة الصليبية فى تلك الفترة المبكرة فى أعلى درجاته، فتميز معظم من جاء إلى للشرق بعد تكوين المملكة والإمارات التابعة لها بالنقوى والورع، وأنه

(١) كاهن : للشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، ترجمة احمد الشيخ، القاهرة، ط١، ١٩٩٥، ص ١٠٣

(٢) محمد مؤنس عوض : للعلاقات بين الشرق والغرب، القاهرة، ط١، ١٩٩٩، ص ١٠٧ .

(٣) Smail, R.C. : The Predicaments of Guy Luzignan, in Outremer, 1982, p.167.

(٤) سميل : المرجع السابق، ص ٥٧ .



ما جاء إلا للحج والإيفاء بالنذر - كما زعموا - وبالتالي فلا ضير في أن يشارك في القتال لمصلحة الصليبيين<sup>(١)</sup>.

• أخيراً، ومع تطور الأوضاع، ظهرت مسألة الرغبة في المغامرة عند بعض القادمين، وكذلك الرغبة في تحقيق بعض المصالح الاقتصادية، خاصة اعتباراً من منتصف القرن الثاني عشر الميلادي/السادس الهجري حيث ظهر ممثلوا الشركات التجارية الكبرى- والبحارة والحرفيون والباحثون عن المغامرة، وخاصة من العائلات البندقية الأرستقراطية مثل عائلات دولشي Dolchy ومورسيني Morciny وفالير Falier وغيرهم<sup>(٢)</sup>.

هكذا تلاقت دوافع الفريقيين أو الحزبيين وأدت إلى حدوث هجرة أوروبية على شكل موجات متقاطرة من الأوربيين خاصة بعد عام ١١١٠م/٥٠٤هـ وهو العام الذي شهد طرد السكان المحليين. وأصبح لدى المهاجرين الجدد من القادمين الاستعداد النفسي للاستقرار الدائم في هذه المدن والمناطق الجديدة التي احتلها الصليبيون في الشرق الإسلامي؛ بل عمل بعضهم كفلاحين. ولقد شاركت جموع المهاجرين المتقاطرين في التمتع بثمار الغزو الصليبي

---

(١) لاحظ كيف تلقى الشاب النرويجي طلب الملك بلدوين بترحاب كبير حيث أجابه بأنه لم يحضر إلى بيت المقدس سوى لهذا الغرض، كما قال له أن جماعته يسرها أن تذهب مع الملك أينما رغب بشرط أن يمدم بما يحتاجون من مؤن، وسيجورد هذا كان شاباً في التاسعة عشر من عمره وكان ملكاً مشاركاً في حكم النرويج مع أخيه باريفوت العظيم Magnus Barefoot سنة ١١٠٣/٤٩٧هـ للتفاصيل انظر: فوذه: المصدر السابق، ص ٢٤١، و١.

(٢) بالار: المرجع السابق، ص ٣٠٤. وقد نجح بعض هؤلاء المغامرين من القادمين الجدد في سد النقص الناتج عن الوفيات المبكرة نتيجة الحرب، حيث كانت هذه الوفيات بمثابة الحافز الذي حث الشباب الطموح على المغامرة وكانت الفجوات التي تحدث داخل الأمر القطاعية عاملاً مساعداً على تجديدها عن طريق تزويج الأرمال، أو بطرق أخرى غيرها؛ لكن ذلك كان يسبب الكثير من المشاكل التي أدت فيما بعد لإغلاق هذه العائلات على نفسها.. كما سنرى فيما بعد .. انظر: كاهن: المرجع السابق، ص ١٣٦.

من بدليته، واعتمدت مشاركة هؤلاء المهاجرين على أساس إلتماهم للتراث المسيحي والمذهب الكاثوليكي<sup>(١)</sup>.

بناءً على ذلك تكونت للنواة الأولى لمجتمع صليبي مستوطن وهذا الكيان الجديد تميز بمجموعة من الملامح حددت طبيعته، وكان لبعضها الدور في حدوث الانشقاق أو النزاع بين فريق المستوطنين الأوائل ومن جاء بعدهم من القادمين الجدد. فماذا عن ملامح هذا الكيان ومنى حدث الانقسام أو التحزب على وجه النقطة؟

المعلومات المتوافرة عن الحياة اليومية في المملكة الصليبية في بلاد الشام وتوزيعها لا تكفى لإعطاء صورة واضحة عن طبيعة الحياة في ذلك المجتمع الصليبي. لكننا نستطيع القول بأن الاستيطان اللاتيني كان استيطاناً مقلداً غير مستقر، وكان بمقدور أى قوة عسكرية متحدة أن تضع نهاية لهذا الكيان<sup>(٢)</sup>. ولذا يعود الفضل الأكبر للمسلمين في طول بقاء هذا الكيان بسبب حالة التشرذم التي كانوا عليها، وغياب مفهوم الوطن المرتبط بالأرض عند أبناء القبائل العربية المتناحرة في الشام<sup>(٣)</sup> وهي أمور أدت إلى عدم وجود خصم حقيقى للصليبيين خلال النصف الأول من القرن الثانى عشر الميلادى/ النصف الأول من القرن السادس الهجرى إلا على حدوده الشرقية التي كانت للمكان الوحيد للمتعاقب المتجددة على الدوام، وقد ظهر ذلك جلياً في إمارة الرها (١٠٩٨-١١٢٤م/٤٩١-٥٣٩هـ) التي لم يتطور فيها للتوطين الفرنجى قط، ولم تتمكن أبداً من أن تلقى دعم الحجاج، ولا إمدادات التجار الإيطاليين؛ لذا كانت عرضة - بسبب

(١) براور : للمرجع السابق، ص ٦٠٥ .

(٢) أنتونى بردج : تاريخ الحروب الصليبية، نقله إلى العربية أحمد عثمان سبانو، ونبيل التجيرودى، راجعه سهيل زكار، دمشق، ١٩٨٥، ص ١١٨، براور : المرجع السابق، ص ٣٠، وأيضاً محمد مؤنس عوض :

المرجع السابق، ص ١٣٢ .

(٣) قاسم عبده قاسم : للمرجع السابق، ص ٣٦٥ .

موقعها الجغرافي - لرد فعل المسلمين السريع<sup>(١)</sup>، كذلك انشغلت انطاكية بأمر الدفاع عن نفسها ولم تستطع توفير الرجال أو السلاح للمملكة الصليبية في بيت المقدس<sup>(٢)</sup>.

رغم عدم استقرار هذا الكيان الصليبي، إلا أن ذلك لا ينفى الدور الذي قام به الملك بلدوين الأول في صياغة هذا الكيان وتشكيله من خلال قدراته وكفائته العسكرية وحماسه الدينية المصطبغة بالتعصب ضد المسلمين والتي كانت سمة عامة للجيل الصليبي الأول؛ ولهذا السبب، شكلت وفاة بلدوين الأول حداً فاصلاً بين مرحلتين : الأولى هي مرحلة القوة والفعالية للدولة الصليبية الناشئة، والثانية تمثل مرحلة اللقائل والاضطرابات وعدم الاستقرار التي تعددت أسبابه والتي سننكرها في حينها<sup>(٣)</sup>.

لقد كانت الهجرة إلى الأراضي المقدسة عاملاً مهماً في استقرار الكيان الاستيطاني الصليبي طوال الثلاثين سنة الأولى على الأقل، ولولا هذه الهجرة ما كان للدويلات الصليبية أن تستمر حيث كانت الهجرة تعوض الخسارة التي تحدث للفرسان أثناء القتال<sup>(٤)</sup>، على الرغم من أن كثيراً من الحجاج كانوا كالطيور العابرة كما يقول باركر<sup>(٥)</sup>، واللافت للنظر أن إيفاع الهجرة تباطأ بشكل كبير بعد انتهاء أحداث الحملة الصليبية الثانية (١١٤٧-١١٤٨م/٥٤٢-٥٤٣هـ) وبعدها عانت مملكة بيت المقدس الصليبية من النقص السكاني الحاد، وهو أمر كان

(١) كاهن : المرجع السابق، ص ١١٨ .

(٢) براور : المرجع السابق، نفس الصفحة .

(٣) Fink, H.S., Foundation in latin states, in Setton, History of the Crusade, Vol.II, (٣) Pennsylvania, 1958, p.409 .

محمد مؤنس عوض : المرجع السابق، ص ١١٢ .

(٤) أشار فوشيه دوشارتر في معرض حديثه عن أحداث عام ١١١٣م/٥٠٧هـ، إلى أن الحجاج من بلاد ما وراء البحار كانوا يصلون كما هي عاداتهم، وكان جيشنا يكبر وينمو يوماً بعد يوم، انظر : فوشيه : المصدر السابق، ص ٢٥٢، وانظر أيضاً : السيد الباز العريني : نمو طبقة النبلاء الإقطاعيين بمملكة بيت المقدس في القرن الثاني عشر الميلادي، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، م ٢٠، ج ٢، ديسمبر ١٩٥٨م، ص ٢٨ .

(٥) ارنست باركر : الحروب الصليبية، نقله إلى العربية، السيد الباز العريني، بيروت، ١٩٦٧، ص ٤١

متوقفاً وشيئاً مسلماً به، لأن المعركة الخاسرة كانت تسفر عن سقوط عدد كبير من القتلى وسط الجيش الصليبي، وتلحق التدمير والخراب بالمملكة اللاتينية<sup>(١)</sup>.

اختلفت الآراء حول التوقيت الذي أصبح فيه الصليبي المستوطن يحس أنه في وطنه، إذ أشار بعض المؤرخين إلى أن عام ١١٢٠م/٥١٤هـ هو العام الذي أحس من بعده المستوطنين الفرنجة في الولايات الصليبية بشعور الانتماء للمكان الذي يعيشون فيه، لأن هذه الفترة تقريباً تزامنت مع احتلال الصليبيين للمنطقة كلها<sup>(٢)</sup>.

بينما نذكر مؤرخون آخرون إلى أن وفاة بلدوين الثاني Baldwin II عام ١١٣١م/٥٢٦هـ تعتبر حداً فاصلاً بين نهاية الجيل الأول من الصليبيين والذي قدم مع الحملة الأولى، وبداية الجيل الجديد الذي بدأ دوره يظهر على مسرح الأحداث في بلاد الشام والذي نظر إلى هذه البلاد على أنها موطنه كما أشار فوشيه دوشارتر<sup>(٣)</sup>.

(١) براور: المرجع السابق، ص ٤٤ .

(٢) ماير : المرجع السابق، ص ٢٣١ .

(٣) يقول فوشيه "الذي كان من أهل ريمز أو شارتر أصبح من سكان أنطاكية وصور، لقد نسينا بالفعل الأماكن التي شهدت مولدنا، لقد صار الذي كان رومانيا أو فرنجيا في هذه الأرض من أهل الجليل أو فلسطين"، انظر : فوشيه دوشارتر، المصدر السابق، ص ٣١٦، ومما يجدر ذكره أن تركيز بعض المؤرخين على عام ١١٣١م/٥٢٦هـ يعود إلى أنه عام اكتمال نمو مملكة بيت المقدس التي امتدت حدودها من بيروت شمالاً إلى العريش وأيلة جنوباً، واعترف بسلطانها إمارات الفرنج الثلاث، وكان لزاماً على الفرنج أن يحرصوا على حمايتها . انظر : باركر : المرجع السابق، ص ٤٧-٤٨، فيما ذهب بالار إلى أن ١٧,٥% من الموجودين في الأراضي المقدسة عام ١١٣١م/٥٢٦هـ كانوا من الذين تناولوا الصليب في عام ١٠٩٥، ١٠٩٦/٤٨٩-٤٩٠هـ وهو بذلك يظهر مدى أهمية الهجرة السلمية التالية للحملة الصليبية. انظر : بالار، المرجع السابق، ص ١٥٦ .

هناك فريق ثالث يرى أن عصر المستوطنين الفرنج Epigoni يبدأ عام ١١٤٣، ويشير على أن هؤلاء هم الذين نشأوا بالشام، وتطبعوا بطابع جيرانهم في الملابس والعادات<sup>(١)</sup> ويرى الباحث ترجيح عام ١١٣١/٥٢٦هـ وهو العام الذي شهد وفاة بلدوين الثاني (١١١٨-١١٣١م/٥١٢-٥٣١هـ)، وكذلك جوسلين Joscelin صاحب الرها (١١١٨-١١٣١م/٥١٢-٥٣١هـ) - وكان قد سبقهما في العام السابق يوهمند الثاني Bohemond II (١١٢٦-١١٣٠م/٥٢٠-٥٢٥هـ) أمير أنطاكية - إذ أن هذا العام يعتبر حداً فاصلاً بين جيلين: الجيل الأول، وهو الجيل المتحمس للحرب، المتعصب ضد المسلمين، والجيل الثاني، الذي كان جيلاً جديداً يؤثر السلامة ويرغب في التعايش السلمى متى وجد إلى ذلك سبيلاً<sup>(٢)</sup>.

هذا التعايش السلمى كان يتنافى مع حاجة المملكة إلى رجال للدفاع عنها، وحاجتها كذلك إلى الدعم المالى المستمر، وهذا أمر لا يتحقق إلا باستمرار الاتصالات بأوروبا الغربية، حيث ظل الوجود الصليبي في الشرق أشبه برضيع لم يكتب له النمو الطبيعي من خلال ارتباطه المرضى بالوطن الأم أوربا - كما يقول أحد المؤرخين المحدثين<sup>(٣)</sup> - ورغم أهمية هذا الارتباط، إلا أنه ظل نقطة الضعف الخطيرة لذلك الوليد التي ليس لها حل في إطار الصراع

(١) باركر : المرجع السابق، ص ٧٢، ح ١، وكلمة Epigoni تعنى التابع أو الوريث .

(٢) يقول رونييه جروسيه : 'خلال الربع الأول من القرن الثاني عشر تأسست فرنسا جديدة في الشرق،

واستطاعت أن ترسى جذورها الصلبة في بيئة محلية بسرعة وحيوية مذهلتين' . انظر :

Grousset; R., Histoire des Croisades et du Royaume Franc de Jerusalem, 3vol. Paris, 1998, Vol. I., PP. 87-88.

بينما يرى مؤرخون آخرون أن تمشرق للفرنجة، والصدقات التي عدها حكامهم مع أندالهم من المسلمين نايابا سطحية وحتمية سواء بسواء . انظر :

Johns, E.N. : The attempt to Colonize palestine and Syria in the Twelfth and Thirteenth Centuries in J.R.A.S, Vol. XXI, 1964 p.292. Smail, op.cit, p.168.

(٣) محمد مؤنس عوض : المرجع السابق، ص ١٨٤ . ويرى المؤرخ سميل إلى أن الحاجة إلى إضافة قوات عسكرية

للمملكة كانت مسألة حادة، ودرامية كما في الروايات؛ ويرى كذلك عم جدوى إرسال أفراد وسفارات إلى الغرب في

مهمة إقناع الحكام هناك بضرورة زيادة حجم الإمدادات للمملكة الصليبية انظر : Smail, op.cit,p.159.

الصلبيى الإسلامى<sup>(١)</sup>. زاد اللطين بلة نقص المقاتلين وحاجة المملكة إليهم مما اضطردهم للاعتماد على المرتزقة سواء كانوا مسيحيين أو غير مسيحيين، فقد كان المهم هو كفاءتهم القتالية، وكان من الأفضل أن تكون هذه الكفاءة فى تخصص معين كأن تكون الفروسية أو رماية السهام أو إجادة استخدام للقذائف... إلخ<sup>(٢)</sup>. كان الكثيرون من هؤلاء للقادمين منذ وصولهم لا يريدون إلا القتال والاشتباك مع المسلمين، دون أن تكون لهم دراية بالساحة ولا الظروف السياسية أو العسكرية للمملكة، وهو أمر يفسر مثلا فشل الحملة الثانية أمام دمشق ( ١١٤٧-١١٤٨م/٥٤٢-٥٤٣هـ)، ومن الأمور الطريفة أن للمؤرخ المسلم أسامة بن منقذ لاحظ بذكاء أن هؤلاء القادمين الجدد يتسمون بالجمود والتبلد حين قال: "إن كل من هو قريب عهد بالبلاد الفرنجية أجفى أخلاقاً من الذين تبدلوا وعاشروا المسلمين"<sup>(٣)</sup>.

هنا ومع ظهور هؤلاء القادمين الموثورين تغيرت الصورة، وتعرض الشعور بالمواطنة لدى المستوطنين إلى الاهتزاز فحدثت فجوة بين الطرفين، فبعد ان كان الجيل الأول وبعد فترة الجيل الثانى من النبلاء الفرنج المستوطنين يستقبلون بالترحاب اولئك القادمين الجدد إلى المناطق الصليبية بشكل تلقائى، فإنه بحلول منتصف القرن الثانى عشر الميلادى / منتصف القرن السادس الهجرى طرأ تحول وتغير فى موقفهم هذا، فاعتبروا للقادمين الجدد منافسين

(١) أشار المؤرخ كاهن إلى حرص كثير من القادمين على تزويد المستوطنين بأخبار الغرب رغبة منهم فى الحفاظ على الوعى بالانتماء، ويشهد على ذلك أيضا إرسال رفات القديسين إلى كنائس الوطن الأصيل فى أوروبا. انظر: كاهن المرجع السابق، ص ١٣٥ .

(٢) ستامبولى : مفاتيح اورشليم القدس، حملتان صليبيتان على مصر (١٢٠٠-١٢٥٠) ترجمة عابدة اللباجورى، مراجعة وتقديم إسحاق عبید، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ٧٢ .

(٣) كان أسامة يقصد بعبارة "تبدلوا" أنهم عاشوا فى البلاد فترة من الزمن، انظر : أسامة بن منقذ : كتاب الاعتبار، حرره فيليب حتى، مكتبة الثقافة الدينية، د.ت، ص ١٣٤، وانظر أيضا : بالار : المرجع السابق، ص ١٤٣ ، ومسيأتى الحديث بالتفصيل عن الحملة الثانية وأسباب فشلها فيما بعد، والجدير بالذكر أن موقف الفشل نتيجة الجهل بالساحة وظروفها تكرر بعد ذلك فى الحملتين الخامسة والسابعة.

لهم، ومتطولين . وتجلى هذا الموقف العدائى تجاه القادمين الجدد فى وقوف النبلاء الفرنجة المحليين فى وجه ثيبرى نو فلاندر Thierry De Flander<sup>(١)</sup>، الذى قام بأربع رحلات حج إلى الأراضى المقدسة حيث عارضوه ونفروا منه، ووصل الأمر بهم إلى تقضيل التفاوض مع المسلمين المحاصرين فى شيزر، وفك الحصار فى عام ١١٥٧م/٥٥٢هـ لكى لا يروا مدينة شيزر تخضع لسيطرة أحد القادمين الأوربيين الجدد<sup>(٢)</sup> وهكذا بدأ واضحاً أن النبلاء المحليين

(١) ثيبرى كونت الفلاندرز خليفة شارل دوفلاندر، وزوج ابنة الملك فولك دلتجو ملك بيت المقدس . رار الشرق الفرنجى اربع مرات، كانت الأولى عام ١١٣٠ وقدم فيها بعض المساعدة، وعندما جاء للمرة الثانية شارك فى الحملة الصليبية الثانية وفى حصار دمشق سنة ١١٤٨م/٥٤٣هـ . وبعد استيلائه على المدينة كان يرغب فى تسلمها كمنطقة نفوذ من ملك فرنسا أو الإمبراطور الألمانى بمعزل عن ملك القدس الذى كان من وجهة نظره صاحب إقطاعية وغير جدير بلقب السيد الأعظم . ولما جاء للمرة الثالثة فى عام ١١٥٦-١١٥٧ كان سلوكه مشوشاً وعارضه بارونات الشرق الفرنجى، ثم جاء آخر مرة عام ١١٦٤م/٥٦٠هـ لنجدة لعمنكة، لكنه فى النهاية لم يحقق شيئاً ذى قيمة، مع أن وليم الصورى كان ينظر إليه كأنه ملاك من السماء سقه الله إلى الشام لنجدته من ضغوط نور الدين محمود . عن رحلاته، وظروق إقامته فى الشرق، وعلاقته ببارونات الشرق الفرنجى ورجاله، انظر وليم الصورى: للمصدر السابق، جـ٢، ص ٨٥١، ٨٩٠، وانظر أيضاً: كاهن : المرجع السابق، ص ١٣٢، عبد الحفيظ محمد على : مشكلات الوراثة فى مملكة بيت المقدس وترها على تاريخ الحركة الصليبية ١١٣١-١١٨٧، للقاهرة، ١٩٨٤م، ص ٦٧

(٢) نجح جماعة من المغامرين الحشيشية فى الاستيلاء على قلعة شيزر بعد أن أصابها زلزال كبير فى عام ١١٥٧م/٥٥٢هـ، ولقد نجح الفرنج بعد ذلك فى الوصول إلى المدينة السفلى فواعت فى أيديهم، وكانت القلعة لحربية فى طريقها للاستسلام لولا حدوث الشجار بين الفرنج = حيث كان بلدوين يريد منح المدينة لثيبرى نو فلاندر لتكوين نواة لإمارة يتولاها باسم ملك بيت المقدس، لكن رينو دو شاتيون Renaud De Chatillon زعم أن بنى منقذ كانوا يؤدون الإتاوة لأطباكية، وإذا طلب من ثيبرى أن يبذل له الولاء عن شيزر . للتفاصيل انظر : وليم الصورى : المصدر السابق، جـ٢، ص ٨٥٣-٨٥٤، وكذلك رنسيمان:تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز للعربى، بيروت، ط٢، ١٩٨٢، جـ٢، ص ٥٦٣-٥٦٤

كرهوا أن يصبحوا تابعين لهؤلاء الأوربيين الذين حضروا إلى الأراضى المقدسة لتقديم المساعدة لهم<sup>(١)</sup>.

والواقع أن طبقة النبلاء للصليبيين المحليين كانت قد تشكلت بشكل واضح فى الربع الثانى من القرن الثانى عشر الميلادى/ الربع الثانى من القرن السادس الهجرى، وصار دخول أى قادم جديد إليها مسألة صعبة، خاصة بعد أن تكونت دائرة مغلقة من العائلات الغنية من ملاك الأراضى، وهى العائلات التى ارتبطت فيما بينها بأواصر المصاهرة وروابط القرابة التى ترجع إلى الأسلاف والأجداد، وبسبب التزاوج المتكرر بين هذه العائلات أصبح عدد أفرادها قليلاً، فى الوقت الذى تنامت وكثرت ممتلكاتهم باستمرار<sup>(٢)</sup>.

وهكذا تتضح أبعاد الصورة وتبدو الفجوة فى العلاقة بين الجانبين ظاهرة فى رغبة الفرنج المحليين المستوطنين فى تجنب المعارك والتعايش السلمى مع المسلمين إذا أمكنهم ذلك من ناحية، ومن ناحية أخرى يبدو حرصهم على ما حققوا من مكاسب وغنائم وثراء وملكية أراضى خوفاً من حسد وحقد القادمين الجدد؛ لذا قفلوا على أنفسهم وأغلقوا عائلاتهم على شبكة العلاقات الضيقة فيما بينهم. أما القادمين بروحهم المتعصبة وتهورهم ورغبتهم هم الآخرين فى الحصول على مكاسب أو البقاء والتمتع بخيرات للشرق كلها كانت دوافع تجعلهم ينظرون إلى الفرنج المحليين نظرة غيرة وحقد وحسد تجلت وتجسدت بشكل واضح فى وصف الفرنج المستوطنين بكلمة البولانى Pullanus أو Poulains وهى كلمة من اللغة اللاتينية الوسيطة

(١) براور : المرجع السابق، ص ٦٣٤ .

(٢) أبرز هذه العائلات المغلقة عائلة الفلاندريين، وأسرة إيلين Iblin الذين ينحدر أفرادها فيما يبدو من أصل إيطالى نورمانى متواضع جداً (إلا أنهم كانوا مستقلين عن نورمان نطاكية). وفى مرتبة أعلى بعض الشئ أسرة كورتيناى Courtenay الذين سيكونون ممثلين للأسرة لاتينية فى القسطنطينية، ثم أفراد أسرة لوزيان luzignan وأسرة بريان Bruian... إلخ. للتفاصيل انظر:

Ducang, Les Familles d'outremer, publiee par, M.E.G.Rey, Paris, 1869, p. 262; CF. also, La Mont, The old lord of Bierot, 1177-1236, in, Byzantion, T.XII, 1937, p. 423.

وانظر أيضاً، كاهن المرجع السابق ص ١٣٤، المرينى: المرجع السابق ص ٤٦ براور: المرجع السابق ص ٩٤



مشتقة من بولوس Pullus<sup>(١)</sup> وقد استخدمها الغربيون والكتاب صفة للفرنج المولودين فيما وراء البحار أى فى الأراضى المقدسة، والذين لهم مستقر دائم فى سوريا تمييزاً لهم عن الصليبيين الذين يجيئون ثم يرحلون، ويشير بالار إلى أنها تعنى ابن الفرس أو (المهر) ويشير إلى أن الكلمة فى أواخر القرن الثانى عشر تحمل شحنة عاطفية، لكنها تشهد انحطاطاً دلاليًا يفسر تداعى الصلات بين الغرب ودول الشرق الفرنجية<sup>(٢)</sup>.

وهناك من يشير إلى أن هذه الطبقة أو الفئة تأثرت بالحضارة الشرقية نتيجة للاستيطان فى الشرق والدليل على ذلك عبارة فوشيه دوشارتر "نحن الذين كنا غربيين صرنا شرقيين"<sup>(٣)</sup>، وقد تعرضت هذه الطبقة لحملة شعواء من قبل مدونى الأخبار الغربيين، حيث

- 
- (١) هذه الكلمة تعنى صغير حيوان ما، وتعنى مُهر، والملاحظ أنها وردت على أنها فرنسية قيمة. انظر :  
Chatelian, E., Lexique latin – Français, Paris, S.D, p.352.
- (٢) فى القرن الثالث عشر شكل البولانيون Poulains جماعة سياسية متجانسة. وبما انهم يعتبرون المستعمرات اللاتينية أرضهم، فهم يؤكدون هوية منفصلة عن هوية الغربيين؛ ولذا فليس هناك ما يدعو للدهشة إذا ما استخدم القادمون الجدد كلمة بولان كنوع من التثنية أو التحقير من شأنهم، إذ انهم ادركوا اتساع الشقة بينهم وبين فرنج الشرق. لكن هناك امر ساهم فى تشكل هذه الاتجاهات الوطنية الغربية وهو زيادة قوة اتجار الإيطاليين وهو أمر خدم المصالح الاقتصادية المحلية، وكذلك تأسيس هيئة الفرسان الألمان السيوتون التى خدمت سياسة الشتاوفيين ضد متطلبات الأرض المقدسة. ولقد اشار مؤرخون آخرون إلى ان حياة البولانى = المنزلية وعلاقتهم الأسرية وخصوصياتهم كلها كانت انعكاساً لأوروبا، وفرنسا على وجه التحديد. انظر : براور : عالم الصليبيين. ترجمة وتعليق قاسم عبده قاسم، ومحمد خليفة حسن، عين للدراسات، القاهرة، ط١، ١٩٩٩، ص ١٤١، ١٤٧، عزيز سوربال عطية : الحروب الصليبية وتأثيرها على العلاقات بين الشرق والغرب، ترجمة فيليب صابر، القاهرة، ط٢، ١٩٩٠، ص ٥٣، وأيضا بالار : المرجع السابق، ص ١٥٦، ماير، المرجع السابق، ص ٢٣١.
- (٣) فوشيه : المصدر السابق، ص ٣١٦.

أنحوا عليهم وعلى أسلوب حياتهم باللائمة، وأنهم سبب الكوارث التي حلت بالمملكة<sup>(١)</sup> وستناول ذلك في الصفحات التالية من البحث

والجدير بالذكر أن الحديث السابق عن الفجوة التي حدثت والشقاق الذي زاد بين القادمين الجدد من الصليبيين والفرنح المستوطنين سيجرنا إلى نقطة هامة تتعلق بنوعيات القادمين الجدد، والظروف التي أدت إلى تواترهم لزيارة الأراضي المقدسة؛ ومنها نستطيع تلمس حجم المساعدات التي قدموها للفرنح البلديين في الشرق، وكذلك نحدد كمية السليبيات التي ترتبت على مجيء هؤلاء للقادمين الجدد ومن خلالها سنتبين أشهر الأزمات التي تسببوا فيها.

تعددت نوعيات القادمين الجدد إلى الأراضي المقدسة، وتعددت كذلك دوافعهم، وإن كان معظم القادمين الجدد قد قدموا بنية القتال في سبيل استرداد الأراضي المقدسة، وساهم بعضهم بالفعل مساهمة فعالة في مساعدة الفرنج المستوطنين، لكن هناك من قدم بنية القتال ولم تساعده الظروف على أداء ذلك الدور مثل وليم كونت نفاار William Conte Navarre عام ١١٦٨م/٥٦٤هـ الذي كان سيداً مهيباً، قدم من مملكة فرنسا بمرافقة مجموعة من الفرسان، إلا أن الموت المبكر عاجله، فحال بشكل مؤسف بينه وبين هدفه، حيث أصيب بداء مزمن كما يقول وليام الصوري وتوفي بعد مدة من نفس العام، فحزن الجميع على موته وتأسفوا عليه<sup>(٢)</sup>.

(١) يـ. بـ. فيترى عن البيولان : لقد سمنا وغلظوا واكتسوا شحما، ومن بين ثراهم وترفهم ظهر المكر لديهم والخسب، وعندما لکلوا حتى شبموا ارتكبوا الفسق، وهرلوا طوائف إلى مواخير الزانيات... إلخ. انظر : فيترى: المصدر السابق، ص ٩٩، وأيضاً، بورشارد من جبل صهيون، وصف الأرض المقدسة، ترجمة سعيد البيشاوي، مراجعة مصطفى الحيارى، عمان، الأردن، ط١، ١٩٩٥، ص ١٧١، وليم الصوري، المصدر السابق، ج٢، ص ٧٨٦-٧٨٧.

(٢) وليم الصوري : المصدر السابق، ج٢، ص ٩٢٦.

وهناك - إلى جانب القادمين بنية القتال - من قدم لأداء بعض المهام الدينية، أو كما زعموا حملهم لدعاوى دينية متنوعة: مثل من قدم بقصد زيارة الأماكن المقدسة مثل بيت لحم والناصره.

فقد كانت قصص الإنجيل مثيرة وذات جاذبية تحت كل مسيحي وحاج أوربي من الأتقياء ومحبي التعلم على التفكير والتأمل طوال العام، وتداعب خيالهم باستمرار، وبالتالي لم تغفل أهمية المزارات المقدسة في هذه المناطق، وكذلك المدن ذات الطابع الديني<sup>(١)</sup>. كذلك كان هناك من قدم بنية الحصول على بعض الرفات من بيت المقدس، وهذه الرفات كان بعضها يحظى بتأثير فعال وقوى عند الإنجليز، ومن هؤلاء جودريك أوف فينشال Goderic of Finchale. وكذلك هناك من قدم وكانت لديه رغبة في التكفير عن خطاياهم وآثامهم. وكان قدومه في حملة يعتبر بمثابة تعويض عن جرائم محددة أو خطيئة عامة، كما حدث في عام ١١٢٨م/٥٢٢هـ حين ذهب أحد رجال مقاطعة ويلز Welsh ويدعى مورجان ابن جادون Morgan Gadwan إلى بيت المقدس تكفيراً عن قتل أخيه<sup>(٢)</sup>. وأخيراً كان هناك بعض الرهبان الذين أتوا - كما أعلنوا - لنجدة من يتعذبون ويموتون في سبيل المسيح<sup>(٣)</sup>.

ولم تكن الدعاوى الدينية، أو المشاركة في القتال من قبل القادمين الجدد من الصليبيين هي السبب الوحيد في قدومهم إلى الأراضي المقدسة، فهناك جانب كبير من القادمين كان مجيئه رغبة في الزواج من الوريثات الشابات من الفرنج المستوطنين واللائى كان قنهن يخفق بمجرد رؤية بعض النبلاء الفرنج من القادمين. وكذلك كان هناك من قدم للحصول على ميراثه، والأمثلة على ذلك كثيرة، نذكر منها قدوم أدلايد Adelaide أرملة روجر ملك صقلية

(١) براور : المرجع السابق، ص ١٩٩، ٢١٨.

(٢) زينب عبد القوى : الإنجليز والحروب الصليبية في الفترة من ١١٨٩-١٢٩١، القاهرة، ط١، ١٩٩٦، ص ٩٦، ح١.

(٣) مثل الراهبان فرنسوا Francois من بلدة أسيس، وديريتي Dreyt من إيطاليا. انظر : ستامبولي، المرجع السابق، ص ١٠٩.

Roger II (1101-1104م/495-549هـ) للزواج من بلدوين الأول في عام 1113م<sup>(١)</sup>، وكذلك قديم فولك الخامس لنجو Foulque d'Anjou للزواج من ميليسند Melisend الابنة الكبرى للملك بلدوين الثاني، وهو الزواج الذي حدث بالفعل في صيف عام 1129م/524هـ<sup>(٢)</sup>، كذلك نجح ريموند ابن كونت بواتييه Raymond De Poitiers في عام 1133م/528هـ ومن خلال الأحاييل والخدع التي نهجها في الوصول إلى عرش انطاكية بالزواج من وريثتها كونستانس Constance<sup>(٣)</sup>، والأمثلة على هذه النوعية تضم قائمة طويلة لا مجال هنا لذكرها كلها، وإن كان من أبرز هؤلاء رينو دو شاتيون أو أرناط "الفارس اللص" كما يعرف في بعض المراجع والكتب، وكذلك جى دو لوزنيان Guy De Lusignan الذي تزوج من سيبيل Sypilia أخت بلدوين الرابع ملك بيت المقدس<sup>(٤)</sup>.

وهناك نوع آخر من القادمين الجدد من الصليبيين كان قومه بقصد الوصول إلى الحكم، وبعضهم رأى في ذلك نوعاً من التعويض أو الانتقام أحياناً، والأمثلة متعددة تذكر من أبرزها : قديم برتران Bertrand بن ريموند صانجيل إلى طرابلس ومعه الجنوية بأسطول

(١) كانت غاية بلدوين من هذا الزواج الحصول على مساعدة بحرية ودبلوماسية من ابنها روجر الثاني، كما أن أدلايد حملت معها أموالاً طائلة كان بلدوين في ميسس الحاجة إليها. (فوشيه:المصدر السابق، ص 252)، لكن ضياع ثروة أدلايد، وإحساسها بالإهانة والخداع الذي تعرضت له دفعها إلى العودة إلى بلادها في العام التالي، مخلفاً جرحاً عميقاً وشرخاً كبيراً في العلاقات بين ابنها روجر الثاني والمملكة اللاتينية في القدس، وهو أمر كانت له تداعياته في العلاقات بين الطرفين بعد ذلك. للمزيد انظر : وليام الصوري : المصدر السابق، ج ١، ص 566، وانظر أيضاً، عبد الحفيظ محمد على : المرجع السابق، ص 10.

(٢) وليام الصوري : المصدر السابق، ج ١، ص 643-644.

(٣) المصدر السابق، ج ١، ص 680-682.

(٤) براور : المرجع السابق، ص 97، Smail, op.cit,pp.161-162.

مكون من ٧٠ سفينة بهدف محاصرة المدينة وامتلاكها بالحق الوراثي عن أبيه<sup>(١)</sup>. وكان منافسه آنذاك وليام جوردان William Gordan الذي كان يقيم في غابة قرب طرابلس تسمى جبل الحجاج، وقد دار بينهما حوار دافع فيه كل طرف عن حقه في المدينة<sup>(٢)</sup>، وهذا الحوار يعبر في النهاية وبشكل واضح عن حقيقة دوافع كل طرف باعتبار احدهما ممثل للفرنج المستوطنين وهو وليام جوردان، والآخر وهو برتران يمثل حزب القامين الجدد، والحوار يشير في مضمونه إلى أن الفرنج المستوطنين قد يقبلون - بدافع من مصلحتهم الخاصة - أن يشاركهم الجدد بعض ممتلكاتهم وامتيازاتهم، لكن أن يسلبوا منهم كل ما حققوه فإنهم ساعتهما يتحولون إلى أعداء يمقتون ويكرهون للقامين الجدد، ولا يتركونهم يحققون اطماعهم وجشعهم، بل يعوقونهم ويقفون في وجههم بشدة، نستنتج ذلك من كلمات فوشيه حين يقول "إن برتران لم يكن يريد لوليام النجاح، أما وليام فلم يكن يريد له الحياة"<sup>(٣)</sup>.

(١) نكر البرت نيكس إلى أن برتراند رحل من فرنسا معه ٤ آلاف رجل، وأربعون سفينة، وأبحر إلى بيزا

حيث انضم إليه الجنوبية بنحو ثمانين سفينة. انظر. Albert d'Aix, op.cit, p.665.

أما كافارو فقد ذهب إلى أن الجنوبية ساعده بستين سفينة . انظر :

Cafaro de Caschifellone; De liberation Civitatum Orientis, ed., R.H.C-H.occ., T.V,  
Paris, 1895, pp.70-72.

ويذكر ابن القلانسي أن برتراند وصل إلى طرابلس بستين سفينة محملة بالفرنجة . انظر . ابن القلانسي :

ذيل تاريخ دمشق، نشرة ١٠٠٠م، بيروت، ١٩٠٨، ص ١٦٢ .

(٢) نشر فوشيه دو شارتر الحوار وجاء فيه : قال برتراند "يجب أن تكون للمدينة لى بحق الإرث لأن أبى

هو الذى بدأ يهاجم للمدينة فى الأصل، فقد بنى هذه القلعة القوية المسماء جبل الحجاج، وعندما كان لا يزال

على قيد الحياة منحنى طرابلس كى أتولاها بعد مماته"، بينما قال وليام جوردان : ولكنها يجب أن تكون لى

أنا عن حق، لأننى منذ موت الكونت ريموند توليت مراقبة السكان المعادين بصراحة بقوتى الخاصة، وقد

ناضلت وعملت على ضم الأراضى المجاورة للمدينة". انظر فوشيه : المصدر السابق، ص ٢٣٦ .

(٣) المصدر السابق، ص ٢٣٧ .

ومن أبرز الأمثلة أيضاً على القاميين الجدد الذين كانت نيتهم الوصول إلى الحكم بأى طريق رجل يدعى مناسيس دى هيرج Manses d'Hierges وهو ابن هوديرن Hodierine شقيقة بلدوين الثانى . وكان قدومه إلى الأراضى المقدسة فى عام ١١٤٠م/٥٣٥ هـ، وهو رجل كفلت له مواهبه وصلاته الارتقاء المطرد فى سلك الوظائف، وخاصة علاقته بالملكة ونقته المطلقة فيه، ثم ازدادت مكانته ارتقاءً بزواجه من هلفيس Helvis وريثة الرملة، لكنه كان شخصاً مغروراً عامل نبلاء المملكة - ومنهم أبناء زوجته - بجفاء وعجرفة، وهذا الأمر كان سبباً رئيسياً فى نهاية طموحاته قبل أن تستقل، وخاصة أن وجوده كان يشكل خطراً على ورثة إقطاع الرملة<sup>(١)</sup>.

هناك صنف آخر من القاميين الجدد وهو نوع معتدل قام أفراده بالتحكيم فى بعض المشاكل أو بتقصي حقائق بعض الأمور أو كانوا رسل صلح، والأمثلة على ذلك كثيرة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر فتوم بطرس Pierre Archiepiscopal de Lion رئيس أساقفة ليون فى ربيع ١١٣٩م/٥٣٤ هـ للنظر فى القضية المثارة بين ريموند الثانى كونت طرابلس Raymond II (١١٣٧-١١٥٢م/٥٣٢-٥٤٧ هـ) والبطريك Radolf رادولف نفسه . غير أن بطرس كان رجلاً طاعناً فى السن إذ مات بعد زيارته للأماكن المقدسة وكانت وفاته بعكا وهو فى طريقه إلى الشام، وقيل أن السم قد دس له قيل أن يصل أنطاكية، لكن لم يحدد ونيم الصورى صاحب الرواية إلى من توجه أصابع الاتهام<sup>(٢)</sup>.

(١) وليم الصورى : المصدر السابق، ج ٢، ص ٧٩٦ . انظر أيضاً : ماير : المرجع السابق، ص ١٦٧-١٦٨ . ولقد وقت أبناء هلفيس الثلاثة ضد زواج ولدتهم من مناسيس وعارضوه خوفاً من أن يتسبب هذا الزواج فى ضياع ميراثهم إذا ما أسفر عن مولود ذكر، لكن الحقيقة أن هذا الزواج لم يسفر إلا عن بنتين، تزوجت الكبرى من أناسيودى بى راي Anceou de Brie وهو أحد أبناء حون يليلين أمير بيروت للكبير، أما لثانية فقد تزوجت شخصاً يدعى هوج دو ميمار Hugue de Mimars فى عام ١١٨٠/٥٧٦ هـ . للمزيد انظر :

Ducange, op.cit, p.361, De Collenberg, W.H.R., Les premiers Ibelins, in, Le Moyen age, T.71, paris, 1965, pp.453, 469, Pringle, D., The Castel and Lordship of Mirable, V.R., 1979, P. 95-96.

(٢) وليم الصورى : المصدر السابق، ج ٢، ص ٧١٦-٧١٧، رنسيمان : المرجع السابق، ج ٢، ص ٣٥٣-٣٥٤

كذلك قدم الراهب المعروف فرانسوا الأسيسى Francois d'Assises مؤسس طائفة  
الفرنسيسكان سنة ١٢٠٨م/٦٠٥هـ إلى معسكر الصليبيين أمام نمياط وهو في حالة يرثى لها،  
حيث اعتقد مثلما اعتقد من سبقوه أو من تبعوه بعد ذلك أن بوسع بعثة سلام أن تحل الأمن  
والسلام، وصادفت هذه الرغبة هوى في نفس الملك الكامل محمد (١٢١٨-١٢٣٨م/٦١٥-  
٦٣٦هـ) الذي كان يرغب هو الآخر في السلام<sup>(١)</sup>.

كما أرسل الملك جان دو بريين Jean De Brienne اثنين من عقلاء القادمين الجدد  
كرسل صلح إلى الملك الكامل وهما أملين دو ريبورت Amelin de Riorte وهو من مقاطعة  
أنجو Anjou، والآخر يدعى وليم، واصطحبا معهما ترجماناً يدعى Mostar، وتوجه  
ثلاثتهم بصحبة المبعوث إلى الملك الكامل<sup>(٢)</sup>.

كان هناك نوع من القادمين الجدد جاء من أجل التجارة مثل تجار بريمن الألمان الذين  
رافقوا الكونت هولشتاين Holshtienn وقواته القادمة للمشاركة في حصار عكا ١١٩٠م/  
٥٨٦هـ<sup>(٣)</sup>، ومنهم من حقق أموالاً طائلة كانت طريقه للثراء مثل رجل كشفه رجال صلاح  
الدين - بعد فتح بيت المقدس وحصار من بداخله - وجدوا معه جرة يحملها على كتفه فظنوا  
أن بها خمراً وأرادوا تطهير البلد منه، فجنّبوا العصا من على كتف الرجل فسقطت الجرة  
فوجدوها مملوءة بالنقود مما أثار دهشتهم واستغرابهم، وقيل أن هذا الرجل كان إنجليزيا  
وحينذاك أمر صلاح الدين ألا يؤذن لأحد بالخروج حتى يدفع فديته<sup>(٤)</sup>.

Ernoul, Chronique d'Ernoul et de Bernard Le Tresorier, ed, Mas Laterie, Paris, (1)

1871, p.431. وانظر أيضا: رنسيان: المرجع السابق، ج٣، ص ٢٨٣.

(٢) محمود سعيد عمران: الحملة الصليبية الخامسة (حملة جان دي بريين على مصر ١٢١٨-١٢٢١)،

الإسكندرية، ١٩٧٨، ص ٢٢٨.

(٣) بالار: المرجع السابق، ص ١٣٨.

(٤) مؤرخ مجهول: ذيل وليم الصوري، ترجمة حسن حبشي، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٢٢.

ومنهم كذلك رجل يدعى جون دو فالنسيين Jean de Valencienn الذى كان قريبا جداً من الملكة ميلسند وحصل على أموال طائلة ثم ترقى حتى أصبح من كبار رجال الدولة الأثرياء<sup>(١)</sup>، وغير هؤلاء كثيرون لا مجال لذكرهم.

ومن القادمين للجدد نوع آخر ممن يمكن أن نطلق عليهم قادمين حققوا بعض الإنجازات الأدبية والعلمية؛ ومن هؤلاء الذين صاروا نموذجاً - احتذى به آخرون ونتج عنه نوعاً من الألب السياسي الجديد - شخص يدعى رينودو مونتوبان Renaud de Montouban والذى أجز أعمالاً بطولية فى الأرضى المقدسة، وكذلك رجل يدعى بيفيز من هامبتون Bevis of hamptoun لذى زار بيت المقدم، وتزوج بابنة أمير<sup>(٢)</sup>.

ومن هؤلاء أيضاً فيما يبدو مؤلف قصيدة لشودة الحفراء أو الشحانين Chanson de Chétifs إذ أنه من القادمين للجدد بالشرق الفرنجى، والدليل على ذلك أن المعلومات التى جاءت بها هذه القصيدة اعتمدت على أساس تاريخى بعيد عن الدقة تماماً، رغم أنها حظيت بقبول وافر بالشرق الفرنجى آنذاك<sup>(٣)</sup>.

هناك أيضاً فيليب دونتوى Philippe de Nanteuil لذى أسر فى القاهرة، ونظم قصائد عن وطنه فرنسا، عبرت عن أحاسيسه ومشاعره المكبوتة فى الأسر، وحينئذ إلى وطنه<sup>(٤)</sup>.

(١) ظهر هذا الرجل فى وثائق بيت المقدم فى الوثيقتين ٥٦٢، ١١٦٧ . انظر :

Rohricht, R., ed, Regerta Regent Hierosolymitana, 2 vols, Insbruck, 1893-1904, Doc. 562, 1167.

(٢) Archer, T.H. and Kingsford, C.L., The Crusades, The story of the Latin Kingdom of Jerusalem, London, 1919, p.444.

(٣) الحويرى : الأوضاع الحضارية فى بلاد الشام فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر من الميلاد، القاهرة، ١٩٧٩، ص ٢٢٧ .

(٤) Grousset, l'Empire du Levant, paris, 1946, p.327.



ولم يكن بين القادمين الجدد شعراء وأدباء فقط، بل جاء إلى الشرق الفريجي بعد العلماء من بينهم إدلار نويث Adelar de Bath الذي درس على العرب علمي الفلك والهندسة، وطاف بمصر وسوريا وآسيا الصغرى في النصف الأول من القرن الثاني عشر/ النصف الأول من القرن السادس الهجري، ومن الثابت أيضا أن نيوناردو فيبوناتشي Leonardo Fibonacci قد طاف بمصر والشام وهو أول عالم مسيحي اشتغل بالجبر، وكان معاصراً لفريدريك الثاني (١١٩٨-١٢٥٠م/٤٩٥-٦٤٨هـ) Frederick II وإليه قدم بحثه في الأعداد المربعة Square Numbers<sup>(١)</sup>.

أما أصعب وأسوأ نوعيات القادمين الجدد من الصليبيين، فهم أولئك الذين قدموا للقيام بمغامرة بقصد السلب والنهب من ناحية، والذين قدموا للتمتع والمجون والخلاعة من ناحية أخرى. والحق يقال أن هذين النوعين كانا يشكلان أكبر نسبة من الناحية العددية مقارنة بباقي النوعيات التي عرضنا لها فيما سبق. وهؤلاء يصدق عليهم وصف المؤرخة أنا كومنينيا Anna Comnena التي وصفتهم بالدقاقة والعنف والجشع للحصول على المال، وقلة الاحترام لغيرهم، كما أن لغتهم تتسم بالدونية والسوقية أكثر من أي جنس آخر من أجناس اتينثر<sup>(٢)</sup>، والمثل البارز على هذه النوعية بالذات رينو دو شاتيون أو أرناط وهو الابن الأصغر لجيوفري كونت جيين وسيد إقطاع شاتيون سيرلوانج، ولما لم تكن له آمال في وطنه فقد قدم إلى فلسطين ومكث بها، ودخل في خدمة الملك الشاب بلدوين الثالث Baldwin III (١١٤٣-١١٦٣/٥٣٨-٥٥٩هـ) والذي صحبه معه إلى أنطاكية، وباقي القصة المرتبطة

(١) الحويرى : المرجع السابق، ص ٢٢٨ .

(٢) كلام أنا كومنينيا كان كلاماً عن الفرنج جميعهم، وقد عرضناه هنا لأنه ينطبق تمام الانطباق على هذا الصنف من القادمين الجدد الذين وفدوا بأعداد كبيرة أغلبهم من الأوياش، وفتران أرصفة الموائى، ومتسكعوا الشواطئ، ولصوص الأرض والبحر والشحاذون، والمشعرون، وخريجوا السجون، ولهاربون من العدالة، واتمجرون السابقون، وأرانل أوربا، انظر : أنا كومنينيا: الألكسياد، ترجمة حسن حبشى، للقاهرة، ٢٠٠٤، ص ٣٩٠، ٣٩١، وانظر أيضا: الحويرى : المرجع السابق، ص ٤٩ ، وكذلك : Holmest, op.cit, p. 3.

بفسلفه وصعوده إلى مرتبة الأمير معروفة ولا تحتاج إلى مزيد من الكلام، لكنه عرف بصفات الغدر والخيانة والتهور والانفداع والتي بغريب الأفعال التي تتنافى مع الأخلاق، وإلى جانب ما سبق، فقد كان فاسد الطباع، أعوزاً، ليس لديه لتباع، ويفتقر إلى بعد النظر السياسى، وظل حتى نهاية حياته مغامراً وغداً، لا يعرف أبعاد تصرفاته وعواقبها، حيث كان فيما بعد من أكثر الأسباب التي أودت بالمملكة كلها فى معركة حطين كما سنرى<sup>(١)</sup>.

وهناك أمثلة أخرى غير أرناط منها رلنيه دو برو Rainier De Brous المعاصر للملك فولك دانجو قاطع طريق فى بانياس، وكذلك ما فعله أفراد حملة ١٢١٧م/٦١٤هـ من سلب ونهب عكا منازلها وأديرتها<sup>(٢)</sup>، وغيرهم كثيرين.

أما من قدم بنية المغامرة والتمتع والمجون والاستهتار فلا تكاد تخلو صفحات المصادر اللاتينية منهم لدرجة ان فيترى عاب على جماعة الفرنسيسكان أنها ترسل إلى الشرق شباناً غير مؤهلين رآهم يحتاجون إلى نظام رهبانى صارم لفترة من الزمن<sup>(٣)</sup>. كذلك تضمنت بعض المراسيم الإنجليزية قيوداً صارمة تم للقسم على مراعاتها، فى محاولة لتحاسنى المجون والاستهتار، ومن بين هذه المراسيم عدم السماح للنساء بمرافقة الحملات الصليبية،

(١) يقول أبو شامة عن أرناط : أغدر الفرنجة وأخبثها وأفصحها عن الردى والرداءة، وانجسها وانقضها للمواثيق المحكمة، والأيمان المبرمة، وأنكثها وأحنثها". انظر ابو شامة: الروضتين فى أخبار الدولتين، بيروت، د٠ت، ج٠٢، ص ٧٥ . كذلك : وليم الصورى : المصدر السابق، ج٠٢، ص ٨١٤، ٨٢٤، ٨٦٨ .  
وبعد ورد فى المصادر البيزنطية على انه مجرد رينالد انظر :

Cinamus, J. Deeds of John and Manuel Comnenus, Trans by Ch. Brand, New York, 1976, pp. 178, 181.

انظر أيضا : ماير : المرجع السابق، ص ١٧٠-١٧١؛ رنسيان : للمرجع السابق، ج٠٢، ص ٥٥٧-٥٦٠، ٥٧٧؛ انتونى بردج : المرجع السابق، ص ١٦٦، ١٨٧، ١٩٤ .

(٢) رنسيان : المرجع السابق، ج٠٢، ص ٣٦٧؛ عمران : المرجع السابق، ص ١٦٧ .

(٣) جاك دى فيترى : المصدر السابق، ص ١٢٦-١٢٧ . وانظر أيضا : توماش ماستاك، السلام الصليبي، ترجمة بشير السباعى، القاهرة، ٢٠٠٣؛ ص ٢٧١ .

باستثناء الغسالات ذوى السمعة الطيبة<sup>(١)</sup>، وكان إرسال النساء فى الحملات للتسرية عن الجنود أمر كثير الحدوث عرض لبعضه بالتفصيل المؤرخ المسلم العماد الأصفهاني<sup>(٢)</sup>.

فى النهاية كانت هذه هى أبرز النوعيات التى قدمت من أوروبا إلى الشرق الفرنجى . وهناك نوعيات أخرى لا يتسع المجال لعرضها، لكننا هدفنا إلى استعراض هذه النماذج وتلك النوعيات لتوضيح الصورة، وبيان شكل العلاقة بين الفريقين المتنافسين فى البداية، واللذين سيتحول تنافسهما بعد ذلك إلى أزمات وصراعات ستكون سبباً مباشراً فى زوال المملكة بيت المقدس الصليبية، ورغبة فى إلقاء مزيد من الضوء على الظروف والملابسات التى أدت إلى حدوث الأزمة بين الفريقين نتحدث عن نوعية المساعدات التى قدمها القادمون للجدد إلى الفرنج المستوطنين وكيف ساهمت فى البداية فى توطيد العلاقة بين الفريقين، ثم أدت فى النهاية ونتيجة لتراكم كثير من السلبيات إلى مزيد من التوتر فى العلاقة وظهور الأزمات فيما بينهما .

واقع الحال يشير إلى أن المساعدات التى قدمها للقادمون للجدد من الصليبيين لأقربائهم من الفرنج المستوطنين لعبت دورها فى بقاء المملكة اللاتينية فترة طويلة من الزمان، كما ساهمت هذه المساعدات فى تجديد دماء قوات المملكة باستمرار، وكانت عاملاً مهماً فى ارتباط فرنج الشرق للبلبيين بالوطن الأم فى أوروبا . وسنحاول هنا عرض نماذج لبعض هذه المساعدات لبيان طبيعة نظرة لفرنج الشرق لهذه المساعدات فى بداية تاريخ المملكة الصليبية

(١) زينب عبد القوى : المرجع السابق، ص ١١٠ .

(٢) قال العماد الأصفهاني يصف نساء الفرنج : وصفت فى مركب ثلاثمائة امرأة لفرنجية مستحسنة، متحلية بشبابها وحسنها متزينة، قد اجتمعن من الجزائر، وفتنن للجرار، واغتربن لإسعاف الغرباء، وتأهبن لإسعاد الأشقياء، وتلهبن على السفاح والسفاد، من كل زانية نازية، زاهية هازية، عاطية متعاطية، حاضية خاطية، متغنية متغنية، متبرزة متبرجة، نارية ملتبهة... فطر : للعماد الأصفهاني : الفتح القسى فى الفتح القسى، تحقيق : محمد محمود صبح، للقاهرة، ١٩٦٥، ص ٣٤٧-٣٤٩ .

في القدس، وكيف تحولت وتبدلت لترسخ مظاهر الغيرة والحسد والتنافس الذي تحول إلى تنافر مشكلاً أزمة مستحكمة في العلاقة بين الفريقين.

ولا شك أن أهم هذه المساعدات في البداية كانت تعود إلى تحول كثير من الحجاج المسيحيين إلى مقاتلين، وهذا ما حدث بالفعل لجماعة من الحجاج الأكثر تواضعاً من الانجليز والفلمنكيين والدانين الذين قدموا في عام ١١٠٦م/ ٥٠٠هـ<sup>(١)</sup>

وفي عام ١١١٠م/ ٥٠٤هـ استطاع بلدوين الأول أن يستولى على صيدا بفضل مساعدة ملك النرويج سيجورد Sigurad ابن ماجنوس الثالث Magnus III الذي قدم إلى الأرض المقدسة بأسطول مؤلف من خمسة وخمسين سفينة<sup>(٢)</sup>، وقد بدأ سيره عام ١١٠٧م/ ٥٠١هـ، وكان قد أمضى ثلاث سنوات يحارب المسلمين في الأندلس، ويواخي النورمان في صقلية<sup>(٣)</sup>، وهنا نلاحظ أن الملك بلدوين بمجرد سماعه بقدوم سيجورد انطلق مسرعاً نحوه مرحباً به وبمن معه، وحاول أن يعرف هل عندهم استعداد للبقاء والمساعدة في توسيع ممتلكات الصليبيين عن طريق جهودهم الحماسية أم لا. وبعد أن تداولوا فيما بينهم، أخبروه بأنهم أتوا من أجل تكريس أنفسهم لخدمة المسيح، وأنهم على استعداد للتقدم بحراً بالسرعة القصوى نحو أي المدن الساحلية التي يرغب الملك في الاستيلاء عليها، ولم يطلبوا شيئاً مقابل خدماتهم إلا الطعام الضروري<sup>(٤)</sup>.

(١) راسيمان : المرجع السابق، ج ٢، ص ٤٠٠ .

Albert D'Aix, pp.677-678.

(٢)

(٣) نركر : المرجع السابق، ص ٤٤، راسيمان : المرجع السابق، ج ٢، ص ١٥٠-١٥١ .

(٤) تكرت المصادر أن سقوط صيدا كان عام ١١١٠م/ ٥٠٤هـ فمثلا البرت ديكس أشار إلى سقوطها في ديسمبر ١١١٠م/ ٥٠٤هـ ، Albert d'Aix, op.cit,p.678 ، بينما يصر وليم الصوري على سقوطها عام ١١١١م/ ٥٠٥هـ كما يتضح أنه يفرق بين الاسكندنافيين والسكان المقيمين في المملكة مع بلدوين والذين ساعدوا لفرنج الوطنيين . انظر وليم الصوري : المصدر السابق، ج ١، ص ٥٤٠-٥٤٣ .

وهذه الحادثة توضح حالة الملك بلدوين وفرحه الشديد بمقدم هذه الفرقة ورغبته فى الاستفادة منها، وهى تبين حال الفرنج المستوطنين باعتبار بلدوين سيدهم وواحد منهم، وترتبط بأوضاعهم التى كانت تستدعى العون وإرسال الاستغاثات فى بداية عصر المملكة الصليبية، وتبين كذلك أهمية هذه المساعدات، كما توضح رد فعل القادمين الجدد الحماسى المرتبط بالإيمان بالفكرة الصليبية فى البداية، ذلك الحماس المرتبط بالتعصب ضد المسلمين والرغبة فى سحقهم. وهذه الروح المتحمسة المتعصبة للقادمين الجدد من الصليبيين لم تستمر طويلاً على حالها وإنما طرأت عليها تغييرات وإلا فكيف نفسر للروح التجارية للجشعة التى ظهرت فى اتفاق البنادقة مع بلدوين أثناء حصار صور فى عام ١١٢٤م/ ٥١٨هـ<sup>(١)</sup>.

ولقد تحولت هذه الروح بعد ذلك على أساس تقديم المساعدة لمن يدفع، أى المساعدة بأجر، وهذا ما حدث فى سجل المساعدات التى أرسلها ثيبرى كونت فلاندرز عام ١١٣٠م/ ٥٢٥هـ، وهى مساعدات لا نملك بشأنها رأياً حاسماً<sup>(٢)</sup>. ثم ما حدث بعد ذلك خلال حصار عسقلان ١١٥٣م/ ٥٤٨هـ يؤكد هذه الحقيقة فقد ظل الملك بلدوين الثالث محاصراً لها نون أن يحرز أى تقدم، نظراً لحصانة المدينة وكثافة السكان بها. وبعد حصار استمر شهرين، وصل ركب كبير

(١) تم توقيع المعاهدة فى عكا بين ممثلين من البنادقة من جهة، وبين البطريرك جورمون Garmund، والكنسطلب وليم، ومستشار المملكة باجان Pagan من جهة أخرى، وذلك باعتبارهم نواباً عن الملك الأسير بلدوين الثانى. وبمقتضى هذه المعاهدة يصير للبنادقة فى كل مدينة بالمملكة شارع بكنيسة وحمام وفرن مع إعفاء كل ذلك من الإلتزامات العمانية؛ وتكون لهم الحرية فى استخدام موازينهم ومكاييلهم فى أعمالهم التجارية، مع إعفائهم من كل الرسوم والضرائب الجمركية فى شتى أنحاء المملكة؛ إلى جانب امتيازات أخرى كثيرة لا مجال لعرضها هنا، وكل تعبر عن روح جشعة نهمة تفضل مصلحتها أولاً وقيل كل شئ، لا يزيد انظر:

der Tafel & Thomas, Urkunden zur alteren Handles und staatsgeschichte Republik venedig, 3vols. Vienna-1856-57, Vol.1, pp.84-89; RRH, pp.23-25.

وانظر أيضاً، ماير، المرجع السابق، ص ١٢٣.

(٢) كاهن : المرجع السابق، ص ١٣٢.

من الحجاج المسيحيين، وبعد تداول فرنج الشرق مع بعضهم، أرسلوا إلى القادمين الجدد من الحجاج رسلاً من قبلهم يحظرون عليهم بأمر من الملك العودة إلى الوطن، ووجهت الدعوة لهم جميعاً على أساس دفع الأجور مقابل مشاركتهم في الحصار وهو عمل مقبول من الرب إذا ما وافقوا<sup>(١)</sup>. وبالفعل انضمت أعداد كبيرة من الحجاج إلى الجيش المحاصر للمدينة حتى تمكنوا من إسقاطها في ٢٢ أغسطس ١١٥٣/٢٧ جمادى الأولى ٥٤٨هـ أي بعد حوالي سبعة أشهر<sup>(٢)</sup> ورغم ما سبق فقد تمت أحياناً مساعدات من القادمين الجدد إلى الشرق الفرنجي ورجالها بالصدفة البحتة، بعضها ساهم في تحسن وضع الصليبيين في البلاد مثل المساعدة التي قدمها هيج دو لوزنيان Hugue Luzignan وجيفرى مارتل Geoffroi Martel شقيق كونت أنجوليم إلى ريموند كونت طرابلس ورجال أنطاكية وساعدوهم في الانتصار على نور الدين محمود في حصن الأكراد عام ١١٦٣م/٥٥٩هـ<sup>(٣)</sup>، وإن كانت بعض هذه المساعدات قد سببت للفرنج المستوطنين مشكلات عميقة بعد ذلك، مثل تلك المساعدة التي قدمها بالصدفة أيضاً رجال كونت نيفر إلى الملك عموري الأول Amaury I (١١٦٣-١١٧٤م/٥٥٩-٥٧٠هـ) أثناء حصاره لمدينة - بلبس المصرية سنة ١١٦٨م/٥٦٤هـ، خاصة وقد قامت هذه الجماعة بإحداث منبحة مروعة بسكان المدينة أذهلت الفرنج المستوطنين ذاتهم، حتى أن عموري بذل جهداً خارقاً لوقف سفك الدماء، لكن سبق السيف العزل، فرغم نجاحه في

(١) منذ ذلك العام ١١٥٣م/٥٤٨هـ أصبح استخدم المال شائعاً لتسيير الحرب في الشرق، انظر وليم الصوري: المصدر السابق، ج٢، ص ٨١٢، ح ١٠.

(٢) وليم الصوري: المصدر السابق، ج٢، ص ٨١٣، عبد الحفيظ محمد علي، المرجع السابق، ص ٦٤.  
(٣) وليم الصوري: المصدر السابق، ج٢، ص ٨٨٨، وقد أشار المؤرخ ابن الأثير إلى أن التفصيل في هزيمة نور الدين محمود في البداية يعود إلى مشاركة القوات البيزنطية والتي شاركت بالفعل وكان على رأسها القائد قسطنطين كولومان، انظر: ابن الأثير: التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل، تحقيق عبد القادر طليمات، القاهرة، ١٩٦٣، ص ١٣٧-١٣٨. وانظر أيضاً: رنسيان: المرجع السابق، ج٢، ص

السيطرة على رجاله إلا أن الخراب قد حل، وقد ساهمت هذه المنبحة التي نزلت بالقوات المصرية التي كان يقودها آنذاك طيئ بن شاور الوزير الفاطمي في تغيير نفسية المصريين مسلمين وأقباط من ناحية الصليبيين<sup>(١)</sup>.

لم تقف المساعدات التي قدمها القادمون الجدد من الصليبيين إلى الفرنج المستوطنين عند حد المساعدات العسكرية بل تضمنت أيضاً مساعدات مالية، والدليل على ذلك الرحلة التي قام بها ستيفن كونت سانكير Sancerre في عام ١١٧٠م/٥٦٦هـ إلى بيت المقدس حاملاً الأموال التي أمر لويس السابع (١١٣٧ - ١١٨٠م) ملك فرنسا بجبايتها لمساعدة بيت المقدس، ويؤكد وليم الصوري بأن ستيفن بقي في بيت المقدس فترة قليلة، حيث عرض عليه الملك عموري أن يتزوج من ابنته سيبلا<sup>(٢)</sup>.

كذلك كانت هناك بعض المساعدات التي أحدثت نوعاً من التعويض المادي والوجداني ورفع الروح المعنوية لدى الفرنج المستوطنين، وخاصة عندما وقعت بعض الكوارث الكبرى مثل حطين مثلاً؛ فجد أن قدوم كونراد دو مونتفرات Conrad De Montfferat ونجاحه في الوصول إلى صور والتحصن بقلعتها رفع الروح المعنوية لدى سكانها فرفضوا شروط الصلح التي أقرها صلاح الدين، واستمروا في قتالهم ولم تسقط صور إلا بعد ذلك بزم من طويل<sup>(٣)</sup>.

---

(١) وليم الصوري : المصدر السابق، ج٢، ص ٩٢٦؛ وقد أشار المؤرخ رنسيان تعليقاً على تلك الحادثة إلى أن السبب في هذه المنبحة هم القادمون الجدد مع كونت نافار بحماستهم وتعصبهم خاصة وقد مات الكونت نفسه محموراً في عكا عام ١١٦٨م/٥٦٤هـ، فلم يعد هناك من يضبطهم من القادة. انظر: رنسيان : المرجع السابق، ج٢، ص ٦١٥-٦١٦، انتوني بروج: المرجع السابق، ص ١٧٣.

(٢) كان ستيفن كونت ستكير حفيداً لستيفن كونت بلوا وشارتر، أحد قادة الحملة الصليبية الأولى، وهو ابن ثيباند الثاني، وقد توفي عام ١١٩١م/٥٨٧هـ، على لوجج الأراء، انظر : وليم الصوري: المصدر السابق، ج٢، ص ٩٥٦، ٩٦٠؛ وكذلك حسين عطية : دراسات في تاريخ الحروب الصليبية، الإسكندرية، ٢٠٠٢، ص ٢٩٠.

(٣) ابن شداد : النوال السلطانية والمحاسن اليوسفية، دار الفرجاني للتراث، القاهرة، ١٩٨٨، ص ١١٣-١١٤، ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ١٢ جزء، بيروت، ١٩٨٢، ج١، ص ٥٤٤، ٥٥٣. وأيضاً : Ernoul, op.cit. : pp.179-183، وتقر أيضاً: عبدالحفيظ محمد علي : المرجع السابق ص ١٥٤.

كذلك كان وصول أسقف فيرونا Bishop De Verona -- وجماعة آخرين من بينهم "ولكين دي فريز"، Walkin De Freer وروبرت تروسيبوت Robert Tresipot، وكذلك أسقف سالزبورى - كل هؤلاء ساهموا فى التخفيف من آثار المجاعة التى عصفت بالصليبيين فى عكا ١١٩١م/٥٨١هـ، فلهجت ألسنة الناس لهم بالثناء العاطر خاصة وقد أحسنوا إليهم، وعطفوا عليهم فى بلواهم "إذ هطلت شأبيب الرحمة" على الجميع كما يقول المؤرخ المجهول للحملة الثالثة<sup>(١)</sup>.

لكن النشوة والفرحة الحقيقية لدى الجميع مستوطنين وقادمين جدد زادت مع وصول زيتشارد قلب الأسد، فكان من الصعب أن تصادف إنساناً لا يلهج لسانه بالمديح كما عبر عن ذلك المؤرخ المجهول للحملة الثالثة<sup>(٢)</sup>، وهى أمور إن نلت على شئى فإنها تدل على أن شعور الاستغاثة والرغبة فى الحصول على المساعدات كانت لا تزال حية فى نفوس الفرنج البلديين رغم التطورات والتغيرات التى طرأت على العلاقة بين الطرفين، وكان تزداد بصفة خاصة أيام المحن، ورغم كل تلك المساعدات التى أشرنا إليها من قبل القادمين الجدد للفرنج البلديين، إلا ان الكثير ممن قدموا للمساعدة كان قدومهم مخيباً للأمان، ولم يحقق الطموحات المرجوة منه، وكان عاملاً من العواما التى أدت إلى صعوبة أوضاع الفرنج المستوطنين وتفاقمها،

---

(١) المؤرخ المجهول للحملة الثالثة، ص ١٧٧ . وانظر أيضا رنسيان : المرجع السابق، ج ٣، ص ٦٨ .  
(٢) يقول المؤرخ المجهول معبراً عن فرح الناس بريتشارد "كان البعض ينشدون أغانيهم القومية الشعبية، وغيرهم يقصون ملاحم الأبطال القماء كأنما يفعلون ذلك لحمل الناس على تقليدهم". انظر : المؤرخ المجهول للحملة الثالثة : المصدر السابق، ج ٢، ص ١١-١٢ ؛ أما ابن الأثير فقال: "عظم به شر الفرنج، واشتدت نكايتهم فى المسلمين، وكان رجل زمانه شجاعة ومكراً وجلداً وصبراً، وبلى المسلمون منه بالاهية التى لا مثل لها".  
انظر : ابن الأثير : الكامل، ج ١٢، ص ٦٥



والأمثلة أيضا على هذا النوع السلبي من القادمين كثيرة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي :

فى عام ١١٧٢م/٥٦٨هـ قدم إلى بيت المقدس هنرى الأسد Henry the Lion دوق سكسونيا وبافاريا، وحفيد الإمبراطور لوثير، وصهر هنرى الثانى ملك إنجلترا. غير أنه رفض أن يقاتل من أجل الصليبيين وأعلن أنه لم يأت إلا للحج. لذا فلم يكد ينتهى من حجه حتى ارتحل عائداً إلى المانيا<sup>(١)</sup>.

وفى عام ١١٧٧م/٥٧٣هـ هبط فى عكا فيليب كونت فلاندر Philippe De Flandres مع عدد كبير من أتباعه وكان الفرنج المستوطنين يأملون من قدومه تحقيق أشياء كثيرة، فعندما قدم جاءه أربعة سفراء من قبل الإمبراطور يعرضون عليه المال اللازم للقيام بحملة ضد مصر. ووصل كذلك أسطول مكون من سبعين سفينة فى أثر السفراء وهنا هرع ملك بيت المقدس إلى فيليب يطلب منه قيادة الحملة إلى مصر، لكن فيليب أظهر التردد، ولم يتخذ موقفاً حاسماً، إذ أشار أول الأمر إلى أنه لم يأت إلا للحج، ثم قال انه ليس بوسعه أن يضطلع بهذه المسئولية الصعبة. وهنا عرض عليه الملك أن يشاركه رينو دو شاتيون، إلا أنه رفض متعللاً بسوء سلوك رينو، فلما جرى إخباره بأن الأسطول البيزنطى على استعداد للتعاون معه، اكتفى بالقول : "لماذا يلتزم بما يبذله البيزنطيون من مساعدة"، ثم أفصح آخر الأمر أنه لم يقصد بقومه إلى فلسطين سوى أن يزوج ابنتى عمه الأميرتين سييلا وإيزابيلا من ولدى روبرت بيثون Robert Bethon أقرب أتباعه إليه وأكثرهم حظوة عنده. والواقع أن هذا التصرف لم يكن

(١) رنسيان : المرجع السابق، ج٢، ص ٦٣٥ .

بوسع بارونات الشرق تحمله، فتقدم أحدهم وهو بلدوين سيد الرملة وبينه Baldwin De Rama وأمانه إهانات بالغة، فاستشاط غضباً وتجهز للرحيل مرة أخرى<sup>(١)</sup>.

يتكرر نفس الموقف المتخاذل السابق في عام ١١٧٩م/٥٧٥هـ عندما قدم إلى فلسطين جماعة كبيرة من الفرنسيين بقيادة هنري الثاني كونت شمباني Henri II Champagne، وبطرس كونت كورثيناي Pierre De Courtenay، وفيليب أسقف بوفيه Philippe De Beauvais، حيث كان صلاح الدين يهاجم ساعة وصولهم مخاضة يعقوب واستطاع في غضون أربعة أيام أن ينقب أسوار القلعة وينفذ إلى داخلها، فلقى المدافعون عنها مصرعهم، وتم تدمير القلعة حتى سويت بالأرض، ولم يشأ الزائرون

---

(٢) ارتاع سفراء الإمبراطور البيزنطي لما حدث من مناقشة حادة بين الفرنج وبالتالي فلم يكن هناك من وجهة نظرهم ما يدعو للاستمرار في الحملة المزمع القيام بها إلى مصر، وانتظر السفراء نحو شهر، ثم أبحروا إلى سيدهم ممتعضين ليخبروه بما شهده من وقاحة الفرنج المتأصلة. للمزيد انظر: وليم الصوري: المصدر السابق، ج٢، ص ٩٨٩-٩٩٢، ويظهر وليام حزينا في روايته لأنه كان مسئولاً عن التحالف بين الصليبيين والبيزنطيين، واتهم روبرت بيتون سمائه السبب الرئيسي في التأثير على فيليب لفشل هذا التحالف. انظر كذلك: Ernoul, op.cit, p.33. أما بخصوص الحوار الذي دار بين بلدوين سيد الرملة وفيليب دو فلاندر فانظر الملحق الخاص بذلك في نهاية البحث، ص ٧٥-٧٦، انظر أيضا: كاهن: المرجع السابق، ص ١٢٢-١٢٣، رنسيمان: المرجع السابق، ج٢، ص ٦٦٨-٦٧٠، عبد الحفيظ محمد على: المرجع السابق، ص ١١٥-١١٧. ورغم كل تلك الأمور قد ساهم فيليب مساهمة رمزية في منازلة حماة وحمص في أكتوبر ١١٧٧م/٥٧٣هـ بالمشاركة مع كونت طرابلس، ثم توجه إلى أنطاكية طالبا بذل المساعدة لأميرها في شن هجوم على حارم، لكنهما لم يحققا شيئا ينكر، فرعوا الحصار عنها، وعاد فيليب إلى القدس ليقضى عيد القيامة ثم استقل سفينة من اللاذقية إلى القسطنطينية. انظر وليام الصوري: المصدر السابق، ج٢، ص ٩٩٦-٩٩٧، ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص ٤٤٤.

سويت بالأرض، ولم يشأ الزائرون بدل أى مساعدة للفرنج المستوطنين هناك، ولم يكن لهم شئ من النفع والفائدة، وعادوا إلى بلادهم بدم بارد<sup>(١)</sup>.

وقريب مما سبق ما حدث من جماعة مجريين إبان الحملة الهنغارية عام ١٢١٨م/٦١٥هـ، دبروا القيام بغارة فى البقاع، دون أن يحفلوا بنصائح الفرنج المحليين، ودون الحصول على موافقة الملك، وكادوا يهلكون جميعهم فى عاصفة ثلجية عند اجتياز جبال لبنان<sup>(٢)</sup>.

نكتفى بهذه الأمثلة من المساعدات الإيجابية، وكذلك المساعدات والتحركات التى لم تحقق شيئاً ذو قيمة بل كانت سلبية - كما أوضحنا - وهى أمور أفادت الفرنج المستوطنين فى البداية كثيراً، لكنها صارت أحياناً فى النهاية عديمة القيمة ودون جدوى، مما خلق شعوراً بعدم الرضا من هؤلاء القادمين وما آثاره بعضهم من مشاكل وأزمات ستناقم وتؤدى إلى زيادة الشقة واتساع الهوة بين الفريقين، ومن هنا ننقل الحديث إلى أعقد وأبرز الأزمات التى تسبب فيها بشكل واضح القادمين الجدد من ناحية، وكذلك الاختلاف والتباين والتحاسد بينهم وبين الفرنج المستوطنين من ناحية أخرى.

يمكن تقسيم الأزمات التى مرت بها المملكة الصليبية إلى أزمات ترتب عليها نتائج وتداعيات خطيرة على مستقبل الصليبيين عامة، وعلى العلاقة بين الفريقين بصفة خاصة، وأزمات أخرى كان لها بعض الآثار المؤقتة التى أمكن تلافيها.

---

(١) وليم الصورى : المصدر السابق، ج٢، ص ١٠١٤، حيث عزا عدم مشاركة القادمين الجدد المشار إليهم إلى حالة الارتباك التى أصابت الصليبيين، ثم مفاجأة صلاح الدين لهم وزيادة قوته، إضافة إلى توالى الكوارث على الصليبيين، ثم غرق فى تصورات دينية أخرى لا علاقة لها بما حدث، انظر كذلك عن هذه الأحداث، ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص ٤٥٦-٥٧.

وأيضاً : رنسيان : المرجع السابق، ج٢، ص ٦٧١-٦٧٩ .

(٢) رنسيان : المرجع السابق، ج٣، ص ٢٦٥ .

بالنسبة للأزمات الخطيرة التي كان لها تداعيات كادت تعصف بالمملكة، سنحصرها في أزمتين خطيرتين هما : فشل الحملة الصليبية الثانية (١١٤٧-١١٤٨م/٥٤٢-٥٤٣هـ)، ومعركة حطين ١١٨٧م/٥٨٣هـ. الواقع ان الحملة الصليبية الثانية التي خرجت من أوروبا انعقدت عليها آمال بالغة الروعة، ولم لا فقد وضع خطتها البابا، ودعى إليها وأوحى بها القديس برنارد St.Bernard بما اشتهر به من فصاحة، وقادها اعظم ملكين في أوروبا آنذاك، وكانت تبشر بمجد تليد للعالم المسيحي في ذلك الوقت<sup>(١)</sup>، فماذا حدث بالضبط؛ ولماذا فشلت فشلاً ذريعاً، أو بالأحرى من المسئول عن هذا الفشل؟ هل هم الرجال القادمون من الغرب أم البارونات المحليين؟ وما هي النتائج الخطيرة التي ترتبت على فشل هذه الحملة؟ وكيف أثرت على طبيعة العلاقات في المستقبل بين حزبي القادمين الجدد، والفرنج المستوطنين؟ تساؤلات تحتاج إلى إجابة، فلنبدأ إذا خطوة بخطوة لنصل إلى حقيقة ما حدث على وجه الدقة. بالنسبة بداية للاجتماع الذي تم بين رجال الغرب القادمين مع الملك، ورجال المملكة من البارونات المحليين، فقد عقد هذا الاجتماع في ٢٤ يونيو ١٢٤٨م/٥٤٣هـ، وكانت قد دعت إليه الملكة ميلسند وابنها بلدوين الثالث، وحضره بعض البارونات المحليين والملك الفرنسي لويس السابع وكنراد الثاني ملك المانيا وبعض النبلاء الأقل مرتبة معهما<sup>(٢)</sup>. ولا نعلم على وجه الدقة حقيقة المناقشات التي دارت في هذا الاجتماع، ولكن في لحظة من لحظات الغيباء السياسي والحماقة المطلقة قرر المجتمعون مهاجمة مدينة دمشق واحتلالها، رغم العلاقات الحميمة التي ربطت بين

(١) رنسيان : المرجع السابق، ج ٢، ص ٤٦٣ .

(٢) لمزيد من المعلومات حول أسماء الحاضرين وألقابهم. انظر وليم الصوري : المصدر السابق، ج ٢

حكامها وملوك بيت المقدس الصليبيين، فضلا عن الخدمات الجليلة التي قدمها ملوك دمشق البوريين إلى المملكة مما منعها من الارتداء في أحضان نور الدين محمود<sup>(١)</sup>

بعد ذلك بدأ الزحف على دمشق في ٢٥ مايو ١١٤٨م عبر طبرية ثم جبال لبنان القائمة بين بانياس ودمشق، ثم نزلوا قرية داريا التي تبعد عن المدينة مسافة أربعة أميال أو خمسة، وكان من السهل من هذا المكان رؤية مدينة دمشق والمنبسطات المحيطة بها<sup>(٢)</sup>.

ما يهم أنه رغم اشتداد أولر القتال بين الصليبيين والمسلمين إلا أن النتيجة النهائية كانت فشل نزيح للصليبيين في تحقيق ما أرادوا، وسبب ذلك استئصال اهالي دمشق في الدفاع عن مدينتهم، وللجندات التي وصلتهم من الخارج وخاصة من نور

---

(١) يرى المؤرخ ماير أن هذا الغياب السياسي له ما يبرره، لأن سقوط الرها ١١٤٤-١١٤٦م/٥٣٩-٥٤١هـ، أدى إلى غياب بارونية الشمال، ولم يكن هناك من يعمل بحزم من أجل القيام بحملة إلى حلب، أما دمشق فكانت الهدف الأخير الذي يجدر التفكير به، وذلك للتبرير يكمله المؤرخ رنسيان بقوله، إن دمشق جرى تبجيلها في الكتاب المقدس، ولذا فإن استردادها من أيدي المسلمين سيرد مجد المسيح في سائر الأنحاء، كما إن حلب لم تكن لها أهمية لدى القادمين الجدد من الغرب، بينما كان صليبيوا بيت المقدس يطمعون في الحصول على البلاد الخصيبة التي تدين بالولاء والتبعية لدمشق. ومن هنا وجبت الإشارة إلى أن كلا الطرفين مسئول عن اتخاذ هذا القرار الخطير، ومن هنا فلا لوم على جانب دون آخر. انظر : ماير : المرجع السابق، ص ١٥٦، رنسيان : المرجع السابق، ج ٢، ص ٤٥٣؛ ويلاحظ على هنا الاجتماع عدم حضور ممثلين يمثلون أنطاكية والرها وطرابلس، وهي الإمارات التي كانت مهددة تهديدا مباشرا من قبل نور الدين محمود، والتي رأى أمراؤها أنه من العيب تبديد قواهم من أجل تحقيق مطامع ثانوية لمملكة بيت المقدس. انظر: سعيد عاشور: الحركة الصليبية، القاهرة، ١٩٨٦م ج ١، ص ٤٩٢ .

(٢) وليم الصوري : المصدر السابق، ج ٢، ص ٧٧٩ .

الدين محمود، بالإضافة إلى مشاكل الصليبيين الكثيرة، والانقسامات التي دبت فيما بينهم أمام دمشق، مما اضطرهم في نهاية الأمر إلى الإنسحاب لا يلوون على شيء<sup>(١)</sup>

وللتعرف على الأسباب الحقيقية التي أدت إلى فشل هذه الحملة الضخمة، ومدى ارتباط هذه الأسباب بالعلاقات بين الطرفين فرنج الشام، والقامين الجدد نلاحظ أن أول هذه الأسباب خطأ عسكري فادح تمثل في تحرك الجيش الصليبي إلى السهل الواقع خارج السور الشرقي لدمشق، وهذا التحرك كان قراراً بالغ الخطورة لأن هذا الموضع افتقر إلى الماء، كما أنه واجه أمتن وأقوى قطاع في السور، وتوفر لجماعات الماشقة الحرية الكافية لأن ينطلقوا حول البساتين، وهكذا صار الجيش الصليبي محاصراً، وفي موضع الدفاع<sup>(٢)</sup>.

ثاني هذه الأسباب، هو التباين الواضح في المصالح، وتضارب المطامع والأهداف من كل الأطراف المشاركة من الجانب الصليبي. فقد كان بارونات الشرق الفرنجي ياملون أن تكون دمشق مجرد إقطاع تابع للمملكة، واتفقوا على أن يكون جي بريزبار Guy Bresebarre سيد بيروت هو سيد هذا الإقطاع؛ أما وليام الصوري فقد أشار إلى أطماع

---

(١) افتتح بارونات فلسطين بعد فوات الأوان بأنه من الحماقة الاستمرار في مهاجمة دمشق، وفرضوا آراءهم على الملك لويس والملك كتراد، بينما تؤكد رجالات الغرب أنه لا أمل في تحقيق شيء يذكر إلا بمساعدة الفرنج المحليين، بينما كل ما فعله الملكان أنهما جارا بالشكوى لما اكتشفاه من خيانة، وافتقار حماس القوات للقضية؛ فكان أمرهما بالارتداد عن دمشق. ولقد أشار المؤرخ ابن واصل إلى أن أنر أرسل رسالة تهديد لتصليبين المحاصرين لدمشق، والغريب في الأمر أن الرسالة كان يتضح بها التفرقة بين الفرنج الغريباء أي الوافدين الجدد، وبين الصليبيين القدامى المستقرين .. للمزيد انظر : ابن واصل : مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، القاهرة، ١٩٧٢-١٩٧٣، ج١، ص ١١٣، ابن القلانسي : المصدر السابق، ص ٢٩٩، وانظر أيضاً رنسيمان : المرجع السابق، ج ٢، ص ٤٥٧، سعيد عاشور : المرجع السابق، ج ١، ص ٤٩٠

(٢) ابن القلانسي : المرجع السابق، نفس الصفحة، رنسيمان : المرجع السابق، ج ٢، ص ٤٥٤

ثييري كونت فلاندر ورغبته في أن يحوز دمشق إقطاعاً مستقلاً على مثال إقطاع طرابلس، وقد حظى بالفعل بتأييد كزاد ولويس، والملك بلدوين الثالث لأنه زوج أخته غير الشقيقة<sup>(١)</sup>.

كذلك فإن أمير أنطاكية استخدم نفوذه كي يتسبب في إخفاق المشروع؛ لأنه كان غاضباً ومغتاظاً لتخلي الملك لويس عنه، ورفضه تقديم أي مساعدة له بأى شكل من الأشكال؛ ولذا مارس ضغطه على بعض النبلاء لإفشال المشروع وإرجاع لويس خالي الوفاض<sup>(٢)</sup>. أما الملكة ميلسند، فقد دبرت هي الأخرى المؤمرات لإفشال هذا المشروع، حيث كانت تعارض حصار المدينة والاستيلاء عليها، لأنها كانت في صراع على السلطة مع ابنها بلدوين، وكان من مصلحتها عدم نجاح الصليبيين في السيطرة على دمشق، لأن هذا معناه نجاح لبلدوين وبالتالي سيصبح بعده الحاكم الحقيقي للبلاد على أساس مشاركته شخصياً في الحملة<sup>(٣)</sup>. ولم يكن التباين في المصالح وظهور المطامع فقط هو سبب الفشل، بل كان هناك تباين كذلك في العادات والتقاليد، ونظرة الفرنج بالشرق لبني عمومتهم القادمين من الغرب والعكس، إذ صدم صليبيوا الحملة للثانية القادمين حديثاً ما اكتشفوه في فلسطين من قيام مجتمع غير أفراد في جيل واحد أسلوب حياتهم، وصاروا يتحدثون بالفرنسية وحكومتهم تصير على التقاليد الإقطاعية، رغم وفائهم للكنيسة اللاتينية فازداد القادمون حيرة وشك جعلتهم يلجأون إلى اتهام

---

(١) كان ثييري متزوجاً من سيبيل ابنة الملك فولك، والأخت غير الشقيقة لبلدوين الثالث، وتبعاً للمصادر فقد دخلت الدير أخيراً، وهذه التهمة التي وجهها ولیم إلى ثييري لا يوجد أساس واضح لها، لكنها تحمل في طياتها حالة الشك والتريب التي حملها نبلاء الشرق تجاه نبلاء الغرب، انظر، ولیم الصوري: المصدر السابق، ج ٢ ص ٧٨٦-٧٨٧، ولقد أشار رنسيان إلى أن البارونات المحليين عندما علموا أن الملك يصانع ثييري اشتد غضبهم ونزحوا إلى التواكل في بذل الجهد. انظر: رنسيان: المرجع السابق، ج ٢، ص ٤٥٥

(٢) ولیم الصوري: المصدر السابق، ج ٢، نفس الصفحات، انظر أيضاً: سعيد عاشور: المرجع السابق، ج ١، ص ٤٩٢ .

(٣) عبد الحفيظ محمد على: المرجع السابق، ص ٤٣، ماير: المرجع السابق، ص ١٥٧، والواقع أن قادة الحملة كما يقول رنسيان يعتبرون المسؤولين عن فشلها لما وقع بينهم من خصام ولجهلهم وحمائقتهم التي لا جدوى منها، انظر رنسيان: المرجع السابق، ج ٢، ص ٤٦٣ .

الفرنج المسنوطنين بالخيانة ومراسلة معين الدين أنر الدمشقي<sup>(١)</sup>، بل والحصول على الرشوة التي جعلتهم ينصحون القاسمير بأسياء أضررتهم عسكرياً أثناء القتال؛ كما أنهم تواكلوا وفتر حماسهم للقتال حفاظاً على مصالحهم وعلاقتهم القوية بحكام دمشق<sup>(٢)</sup>.

إلى جانب ذلك يمكننا ذكر بعض الأسباب التي تبدو واقعية أكثر، منها على سبيل المثال: أن تعداد الجيش الصليبي لم يكن كبيراً بسبب من فقد حياته في آسيا الصغرى أو تخلف في أنطاكية وسواها؛ كذلك إشارة ابن القلانسي إلى ازدياد قوة جيش دمشق بفضل النجيدات التي حصل عليها من الموصل و حلب و حوران و بعلبك<sup>(٣)</sup>. وهناك سبب آخر يتمثل في

---

(١) معين الدين أنر ملوك لطفتكين أظهر مهارة في تصدى دمشق لمحاولات عماد الدين زنكي ضمها إلى جبهته المتحدة ضد الصليبيين، ووصل به الأمر للتحالف مع الصليبيين ضد زنكي بعد أن خوفهم من أنه إذا ملك دمشق يملك بيت المقدس، ولا يترك لهم بالساحل مقام، للتفاصيل انظر: ابن القلانسي : المصدر السابق، ص ٢٧٢، وانظر أيضاً : محمد مرسى الشيخ : الجهاد المقدس ضد الصليبيين حتى سقوط الرها ١٠٩٧ / ١١٤٤، الإسكندرية ١٩٧٤، ص ٣٦٢ .

(٢) تبدو تهمة الرشوة والأموال المزيفة تهمة مبالغ فيها ومختلفة، وقد حاول بعض الرواة إلصاقها بإيلي ناندوس Ily Nandos صاحب طبرية على أنه هو الشخص المتهم، وأنه تسلم مبلغ ٥٠ ألف دينار ذهبي من أهل دمشق، ثم اكتشف أنها مزيفة.. وإن كان وليم الصوري قد اكتفى بعرض الرواية دون أن يذكر اسم المتهم فيها. انظر. ونيام الصوري : المصدر السابق، ج٢، نفس الصفحات؛ أما ابن العبري فيقول أنه لم يعثر لهذه القصة عن أنر في المصادر العربية، حيث قال : طالعت خمس كتب عربية، فلم أعر فيها على حكاية التزيف هذه، غير أن البطريك ميخائيل المغبوط ذكرها في تاريخه. انظر : ابن العبري : تاريخ الزمان، نقله إلى العربية الأب اسحق أرمله، قدم له الأب الدكتور جان موريس فنييه، بيروت، ١٩٩٦، ص ١٦٣. انظر أيضاً : رنسيان : المرجع السابق، ج٢، ص ٤٥٦-٤٦٨، انتوني بردج : المرجع السابق، ص ١٥٦ .

(٣) ابن القلانسي : المصدر السابق، ص ١٩٧-٢٩٨ .



عدم مناسبة مكان القتال لمناورات الصليبيين الذين كانوا يجيدون القتال في الأماكن المكشوفة فقط، وليس بين البساتين<sup>(١)</sup>.

ونتج عن هذا الفشل أن الحملة : فقدت عدداً كبيراً من رجالها، وقدراً كبيراً من عتادها، وتعرضت لهوان شديد، وبددت نهائياً أسطورة فرسان الغرب الذين لا يقهرون التي نمت وترعرعت في الحرب الصليبية الأولى<sup>(٢)</sup>؛ كما أن هذا الفشل جعل الغرب يسيئ الظن بالحركة الصليبية، ويسئ الظن بالامبراطورية البيزنطية ويتهمها بخيانة الحركة الصليبية، وهو إحساس بدت ملامحه مع اقتراب وصول الحملة الشعبية بالقرب من أسوار القسطنطينية وسيظل يتفاقم ويتعاظم يوماً بعد يوم إلى أن تحدث الحملة الصليبية الرابعة وما ترتب عليها<sup>(٣)</sup>.

• إضافة إلى ما سبق فقد ضاعت سدى جهود سيجر أو سوجر Soger وبرنارد في إعداد حملة صليبية جديدة عام ١١٥٠م/٥٤٥هـ، خاصة مع إنخفاض الروح المعنوية العامة للصليبيين<sup>(٤)</sup>. وبذلك أصبح الطريق مفتوحاً ليواصل نور الدين محمود انتصاراته اللاحقة، مما أنعش آمال العالم الإسلامي عامة<sup>(٥)</sup>.

والأهم من هذا وذاك، فإن هذه الحملة بذرت بنور الشك بين الصليبيين القادمين حديثاً من الغرب، وبين لغرنج النازلين بالشرق مما ساعد على زيادة شقة الخلاف واشتعال الأزمة بين

---

(١) وليم الصوري : للمصدر السابق، ج٢، ص ٧٨٧، ج٢، ولقد أشار أحد المؤرخين المحدثين إلى أن اليانور زوجة الملك لويس ليست مسنولة عن كارثة دمشق، ولا هي مسنولة عن كامل التدمير الذي حاق بالجيش الصليبي بصفة عامة، فنظر :

Walker, C.H., Eleanor of Aquitaine and the Cadmos mountain on the Second Crusade, in A.H.R., 1949-1950, p.861.

(٢) رنسيان : لمرجع السابق، ج٢، ص ٤٥٨، ٤٦٣ .

(٣) نفس المرجع، ج١، ص ٤٦٣ .

(٤) باركر : لمرجع السابق، ص ٧٧ .

Constable, G.: The Crusading project of 1150, in , V.R., 1979, p.70.

(٥) كاهن : لمرجع السابق، ص ١٢٨، رنسيان : لمرجع السابق، ج٢، ص ٤٥٨ .

واشتعال الأزمة بين الطرفين وسيتعرض الكيان الصليبي لأحداث جارفة تعصف به فى مياه البحر المتوسط، وتطوى صفحاته من سجلات التاريخ الوسيط.

نأتى لثنائى وأهم وأخطر الأزمات التى تسبب فيها سوء العاقبة بين الطرفين والخلافات والتحزبات التى أصبحت أكثر وضوحاً، وأكثر خطراً على الكيان الصليبي بكامله، أزمة معركة حطين سواء فى الفترة التى سبقت حدوث المعركة، أو أثناء القتال، أو حتى بعد انتهاء المعركة بهزيمة مروعة للصليبيين

كانت أحداث الخلاف والتحزب التى سبقت حطين تتمحور حول ثلاث قضايا هى : قضية الوصاية على المملكة؛ وقضية اختيار خليفة للملك؛ وأخيراً قضية زواج الأميرة سيبيل<sup>(1)</sup>.

بخصوص مسألة الوصاية أشارت المصادر إلى أنه كان هناك شبه اتفاق على أن يتولاها ريموند كونت طرابلس Raymond Conte Tripoli ) ١١٥٢-١١٨٧م/٥٤٧-٥٨٣هـ)، لذا وقف جميع بارونات المملكة فى البداية ضد ميلون دو بلانسى Milon de Plancy الذى كان يمارس اعمال الوصاية، ونشبت بينه وبينهم عداوة خطيرة، باعتباره أحد القادمين الجدد، إذ حسدوه على سلطته، ولم يتحملوا حقيقة أنهم يمكن تجاهلهم، خاصة وقد أقدم هو على إبعادهم عن الملك، وتصرف معهم بجرأة ووقاحة، وكان متعجرفاً متكبراً ثماً

Mayer, op.cit,p.161.

(1)

بالعبارات الطنانة التي ترضى نفسيته وطموحه، وكان يميل إلى استخدام الحسد مع أعدائه ومنافسيه<sup>(١)</sup>.

فيما يتعلق بوصاية ريموند فقد كان لها أسبابها الكثيرة، نذكر منها اعتقاد الملك بلدوين الرابع Baldwin IV (١١٧٤-١١٨٥م/٥٧٠-٥٨١هـ) بأن ريموند هو أصلح من يتولى الوصاية، ومن بعدها يكون أحق بالتاج لأن به صفات لا تتوافر لأحد غيره في المملكة، إضافة إلى أنه أدنى الناس قرابة للملك، وأقرب الناس أن يكون وريثه<sup>(٢)</sup>، والحقيقة أن ريموند كان رجلاً ذا خبرة سياسية وحنكة حربية، إذ ولد وتربى في الشرق، وعرف أساليب المسلمين فتأثرت شخصيته بهم، وكان يجيد التعامل معهم دون اللجوء إلى استخدام القوة كما كان يفعل الصليبيون الأوائل<sup>(٣)</sup>، يضاف إلى ذلك حساسية الملك بلدوين الرابع الشديدة تجاه أي قادم غريب يستولى على مملكة بيت المقدس دون موافقة إجماعية<sup>(٤)</sup>.

(١) وليم الصوري: المصدر السابق، ج٢، ص ٩٧٤-٩٧٥، pp.115-119، Ermoul, op.cit.، وكذلك ابن الأثير: الكامل، ج ١١، ص ٥٣١-٥٣٢، ولقد أشارت معظم الكتابات إلى أن ميلون دي بلانسي قد طعنه شخص مجهول وهو يسير في شوارع عكا طعنة أودت بحياته، وكان هناك اختلاف في سبب مقتله فقد ذكر البعض أنه كان يعد العدة للاستيلاء على مملكة بيت المقدس، وأنه أرسل يطلب المساعدة من ملك فرنسا، وأشبار آخرون إلى أن قتل بسبب عجرته وتكبره على النبلاء المحليين بينما أشار فريق ثالث إلى أنه قتل لإخلاصه الشديد للملك، وإن كانت معظم الكتابات تتفق أكثر على سوء أسلوبه في معاملة النبلاء، وقربه الشديد من الملك الذي لم يكن يرفض له طلب، وكالعادة لآذ وليام الصوري بالتصمت ولم يمنحنا بالمعلومات التي تفيد في معرفة القاتل، وهل جرت محاكمته، ودوافع ارتكاب الجريمة وغيرها من الأمور. للمزيد انظر: La Mont, Feudal Monarchy in the Latin Kingdom of Jerusalem, 1100-1291, new York, 1970, pp.26-27.

(٢) ذيل وليم الصوري: ص ٢١-٢٢.

(٣) محمد مؤنس عوض: المرجع السابق، ص ٢٠٦. وكان ريموند قد قام بأعلاء الوصاية على الملك منذ عام

١١٧٤م، انظر: ماير: المرجع السابق، ص ١٨٨.

(٤) ذيل وليم الصوري: المرجع السابق، ص ٢٢-٢٣، وانظر أيضاً: ترنسيمان: المرجع السابق، ج٢، ص ٧١٦-٧١٨.

والحقيقة أن طموحات ريموند كانت ستقوده حتماً إلى لبس التاج بعد ذلك، كما أن كل المعاصرين له كانوا قد وصلوا إلى نفس النتيجة تقريباً<sup>(١)</sup>. لكن رغم ذلك كانت هناك مؤامرات تحاك ضد ريموند يقودها أفراد معادين له على رأسهم أنجيس دي كورتيناي Agnes De Courtenay وأخيها جوسلين، لدرجة أنهما أقتعا الملك أن ريموند يتأمر على العرش. ولم تهذا نائرة الملك إلا بعد احتجاجات عنيفة من قبل بارونات المملكة، فقبل كارهاً أن يرى ريموند الذي أقتعه بيراعته<sup>(٢)</sup>.

وهكذا أثبت البارونات ولاءهم لريموند الذي صار زعيماً لحزبهم الذي يحلو للبعض تسميته بحزب "الأسر العريقة" ومن أفراده همفري الثاني صاحب تيورون Humphrey II De Toron ، ورئيس الحرس، وأسرة ابلين، ورينو سيد صيدا Renaud de Sidon المتقف الذي يتكلم العربية، ووليام الصوري الذي عهد إليه ريموند بديوان المملكة عام ١١٧٤م/٥٧٠هـ، ثم بأسقفية صور عام ١١٧٥م/٥٧١هـ، بينما كان هناك حزب آخر منافس بل معادي لهذا الحزب كان تكوينه أكثر تعقيداً، سيطر عليه القادمين الجدد الذين كانوا يطمعون بالمغامرات في الحصول على الأملاك

---

(١) يرفض المؤرخ سميل الثوابت التاريخية، فوحي أن ريموند لم يكن بتلك الصورة البراقة التي أوردتها مصادر الدرن الثاني عشر، أو حتى كتيفت المؤرخين للمحدثين في القرن العشرين، وإنما كانت له نقائصه وعيوبه التي أدت إلى انشقاق المملكة وحدث ما حدث، ولذا فقد كان عديم الضمير في خصومته لجي لوزيفان، وكان مهندس العملية التي حاولت الإطاحة بجي عام ١١٨٣م/٥٧٩هـ ثم أنه أظهر حماقة أكبر عندما قاد تمرداً ضد جي بعد تنويجه عام ١١٨٦م/٥٨٢هـ، وكانت علاقته بصلاح الدين موضع شك في شخصيته وخيانتة التي سمح من خلالها لقوات المسلمين بدخول طبرية. للمزيد انظر: Smail, op.cit, pp.174-175.

(٢) اقتنع الملك تماماً ببراءة ريموند وأصبح يثق في حكمته وشهامته وعهد إليه بإدارة المملكة كلها وبدا هذا العمل مرضياً كما يقول وليم الصوري لرغبات جميع الناس، ولأغلبية النبلاء، لأنه كان واضحا للعيان أن طريق السلامة الوحيد قائم على وضع أمور المملكة في يد كونت طرابلس... والواقع أن وليم رأى أن هذا منطقي جداً، فهو من أعز أصدقاء ريموند المدافعين عنه.. انظر وليم الصوري: المصدر السابق، ج٢، ص ١٠٧٦.

والذين تشابهوا إلى من جاء إلى الأراضي المقدسة من الجيل الأول بعنفهم وتعصبهم ضد المسلمين، وكان من أبرز زعماء هذا الحزب رينو دو شاتيون، والأخوين جي وإيمري لوزنيان، وكذلك جوسلين وأخته أجنيس دي كورتييناي وانضم إلى هذا الحزب أخيراً مقدم الداوية جيرار دو رينفور Gerard De Redfort بسبب حقه الشخصي الدفين على ريموند<sup>(١)</sup>.

نجح حزب القامون الجدد في وضع جي لوزنيان في طريق سيبيل شقيقة الملك فتزوج منها<sup>(٢)</sup>، ومن هنا أخذ جي على عاتقه مهمة إحباط كل التطلعات والطموحات في كل زمان ومكان ظهرت فيه، إذ أن زواجه منحه أكبر فرصة ليصبح الملك القادم

(١) كان حقد رينفور على ريموند بسبب حرمان الأخير له من الزواج من إحدى اللورينالات وهي ابنة ووريثه جيوم نوري Guillaume Dorel الذي كان فصلاً تالما لريموند وأمير البترون Batron الواقعة جنوب طرابلس، وقدما كانت تسمى بتروس Batrus وكان ريموند قد وعده بتزويجه من تلك السيدة ثم خلف وعده بعد ذلك وزوجها من أحد ثرياء التجار البيازنة واسمه بيلفان، ويقال أنه نفع قدر وزنها ذهباً، وعندما رأى جيرارد فشل أماله في الزواج منها، انتابه غضب بالغ، فتوجه إلى كنيسة الصريح المقدس، وتوكل إلى الله أن ينتقم من كونت طرابلس لفلته هذه . للمزيد انظر : Ernoul, op.cit,p.114. ماير : المرجع السابق، ص ١٩١، برلور : المرجع السابق، ص ٢٣٨.

(٢) أشار وليم الصوري إلى أن الملك بلوين الرابع كان متسرعاً في قبول جي لوزنيان زوجاً لشقيقته سيبيل وأشار أيضاً إلى أنه رغم أصل جي الذي لا بأس به، إلا أن الملك كان يملكه العثور على نبلاء نوى أهمية وحكمة، بل حتى أكبر ثروة بكثير من الأجنبي، حيث أن الزواج من أي منهم له منافع أكبر بكثير للملكة، انظر وليم الصوري : المصدر السابق، ج ٢، ص ١٠١٦ . ولقد أشار رنسيان نقلاً عن بينيكت إلى أن سيبيل اتخذت من جي عشيقاً لها خاصة بعد أن اكتشفت فيه من اللوسامة والجمال ما سبق أن علمت به، ولما اكتشف الملك بلوين هذا الأمر أراد أن يأمر بإعدام جي، غير أنه بناء على طلب الداوية وأمام إصرار أخته على الزواج من هذا الشخص - الذي كان الملك والنبلاء يعتبرونه ضعيفاً أحمقاً - أبقى للملك على حياته ووافق على زواجه من سيبيل. انظر، رنسيان، المرجع السابق، ج ٢، ص ٦٨٥٠. يصر سميل Smail, op.cit,pp.161-162. على الدفاع عن جي لوزنيان ويقول أن منغسيه وخصومه للحلدين عليه بنوا القسى طاعتهم لحرمة من الوصاية وإقصاءه عن سدة الحكم، وإبطال زواجه والنيل من سمته، وأن هذه المهمة ساعدتهم فيها وليم الصوري الذي لم يكتف مشاعر بغضه وكراهيته لعائلة كورتييناي وحلفائها، وكذلك إيرنول ربيب أسرة إيلين الرافضة لزواج جي من سيبيل التي كان هناك وعد لتزويجها من بلوين إيلين ولم يتحقق، للمزيد من التفاصيل حول هذه الأحداث، انظر : Ernoul, op.cit, pp.115-119. أيضاً فيترى؛ المصدر السابق، ص ١٤٨-١٥٠، وانظر كذلك، رنسيان : المرجع السابق، ج ٢، ص ٧١٦، ٧١٨، ٧٢٢ .

لمملكة بيت المقدس؛ ففي عام ١١٨٣م/٥٧٩هـ صار وصياً على العرش، ورغم ذلك فإن الملك بلدوين الرابع قبل وفاته كان قد أوصى بالأل تكون اللوصاية له أبداً، وإنما تكون لريموند على الملك الطفل بلدوين الخامس، لأنه أحق بها من سواه، وطالب رجاله بالوفاء بهذا العهد بعد وفاته. لكن جوسلين نجح بخبث في إبعاد ريموند عن بؤرة الأحداث وأعلن سبيل ملكة، خاصة بعد وفاة الملك الطفل بلدوين الخامس ١١٨٦م/٥٨٢هـ، وبعد ذلك توجت سبيل زوجها جى لوزنيان، وهنا أسقط في يد ريموند والبارونات للمجتمعين في نابلس ولم يستطيعوا فعل شيئاً ينكر<sup>(١)</sup>.

(١) قص صاحب ذيل وليم الصوري بالتفصيل قصة ذلك الاجتماع بين البارونات والحوارات التي دارت بينهم، فوجدنا أن بلدوين إيلين حاكم الرملة عندما سمع أن جى أصبح ملكاً قال: "لأنه من الثابت الأكيد أن جى لن يبق ملكاً عاماً واحداً"، ثم وجه كلامه إلى البارونات وكونت طرابلس قاتلاً "أيها السادة الأمجاد، عليكم الآن بذل غاية جهنم، أما أنا فإني ماض إلى حيث اعتكف فلا ألقى أحد ولا ألقاني أحد لأنني لم أعد أتحمل الملامة أو التائب في أنني كنت حاضراً وقت ضياع المملكة، لما أعلمه علم اليقين من أن هذا الرجل الذي صار اليوم ملكاً ما هو إلا سفينة غيى، وإنه لن يستجيب قط إلى أى نصيحة أزوجها له، ولا إلى ما تتصحونه به، بل سوف يسلك سبيل الخطأ فيستمع إلى مشورة الجهال، ومن أجل ذلك فإني تارك الأرض ومخارها". بعد ذلك أشار ذيل وليم إلى اتفاق البارونات على أن يقوموا بتتويج همفري الخامس دي تيرون وزوجته إيزابلا رداً على تتويج جى، لكن همفري بعد اتفاقهم تسلل متخفياً وذهب إلى الملكة والملك واعتذر لهم، وهنا وقع البارونات في حيص بيص وسألوه النصيحة فأشار لهم بأن عليهم الالتزام بالعهد الذي تعاهدوا به مع الملك الأبرص.. وبعد مشاورات قال البارونات للكونت "مولانا .. إما وقد تم الاتفاق على إقامة ملك في بيت المقدس، فإننا لا نستطيع أن نقف موقف المعارض، وإلا كنا موضع الاستهجان والمذمة، لذلك نلتصم منك إلا تظن بنا ظن السوء إن نحن قلنا لك أن تذهب إلى طبرية وتقيم بها، أما نحن فسوف نيمم وجهنا شطر بيت المقدس، إلى حيث يقيم الملك، ونقطع له يمين اللواء، وسوف نبذل لك العون ما وسعنا البذل ولصون شرفنا، وسنتدبر أن ترد لك كل ما أنفقته من مال من أجل بيروت التي منحك إياها الملك الأبرص". للمزيد انظر: ذيل وليم الصوري: المصدر السابق، ص ٤٧-٤٩.

بعد اختيار جي لوزينان ملكاً على مملكة بيت المقدس الصليبية، عقدت أول جمعية للبارونات وبالطبع لم يظهر ريموند، وعلى الفور بدا جي تصفية الحسابات، فأعلن نزع بيروت من ريموند، وهي التي كان قد حازها باعتباره وصياً، وأرسل إليه إخطاراً بأن يقدم حساباته عن الأموال العامة التي أنفقها أثناء ولايته، كما طلب حضور بلدوين إيلين سيد الرملة فحضر، وأدى تحية شكلية للملك تاركاً إقطاعه لابنه توماس من بعده أما هو فقد هاجر إلى أنطاكية ودخل في خدمة بوهمند اميرها، الذي لاقاه بالترحاب، وجعل له إقطاعاً تزيد مساحته عن الإقطاع الذي تخلى عنه، كما لحق به في أنطاكية سادة آخريين يقلون عنه مكانة ويرفضون حكم جي<sup>(١)</sup>.

هكذا انتصر حزب المغامرون والقادمون الجدد قليلى الخبرة فى وقت صعب للمملكة، وخرج أكثر الرجال خيرة مهزومين بانسين مثل ريموند وبلدوين إيلين، كما تسبب هذا الأمر فى اتساع الهوة بين الفريقين، كل ذلك والمملكة فى طريقها إلى حرب ضروس مع صلاح الدين الذى تمكن من توحيد الجبهة الإسلامية، وأكمل استعداداه

(١) أشار صاحب ذيل وليم الصورى أيضاً إلى أن بلدوين إيلين صاحب الرملة كان حروناً صعب المراس، فعندما حضر لمقابلة الملك نادى عليه ثلاث مرات وهو لا يجيب، وعند ذلك توجه إليه الملك قائلاً تقدم أيها الصديق الغالى إن كنت تريد قطع يمين اللولاء والتبعية لى، وأعلن إلى هؤلاء السادة الأمجاد، نوى الأصول الكريمة عن نيتك الطيبة. فأجابته "إنه لم يسبق لأبى قط أن أعلن تبعية لمن سبقك، ومن ثم فلست أنا الآخر بمعلنها، ولكن عاهد إليك بقطاعيتى حتى يبلغ ولى توماسين Thomassin الموجود الآن سن الرشد،- وحينذاك يأتى إليك مبايعاً، ويؤدى إليك ما ينبغى عليه ادأوه.. أما أنا فمفادى مملكتك فى مدى ثلاثة أيام.

للمزيد انظر : ذيل وليم الصورى، ص ٥٠-٥١ . وانظر أيضاً. Erroul, op.cit,pp.137-139. ويشير أحد المصادر إلى أن جي كان يريد إنزال الأذى ببلدوين إيلين ولم يمنعه عن ذلك إلا شرف أصله ونسبه . انظر : Les Gestes des Chyprois, ed. R.H.C, Doc. Arm, Tome II, Paris, 1906, p.659, CF.also, La Mont, John d'Ibelin, The Old Lord of Bierot, in Byz.T., 12, 1937, p.421.

لمواجهة الصليبيين المواجهة الحاسمة. فماذا حدث من تطور العلاقات بين الفريقين بعد ذلك؟

لقد ارتقى ريموند في حضان صلاح الدين، وحصل منه على هدنة شملت أراضي زوجته بالجليل، كما وعده صلاح الدين بالمساندة في تحقيق هدفه في أن يصبح ملكاً.

ومن هنا بدأ أعداؤه ومنافسيه يتهمونه بالخيانة، ولم يكتفوا بذلك بل تحركوا صوب الناصرة لإخضاع الجليل لسيادتهم قبل بدء الهجوم الإسلامي.

وهنا صارت المملكة على شفا الحرب الأهلية، التي لم ينزع فتيلها بعد ذلك سوى باليان إبليين الذي طلب أن يقوم بدور الوسيط بين جي وريموند الذي رفض الخضوع لجي ما لم تعد إليه بيروت، في الوقت الذي اعتقد فيه جي أن هذا الثمن باهظ، لكن مع اقتراب خطورة صلاح الدين تحدث باليان لجي في الوفاق بينه وبين ريموند قائلاً له " لقد خسرت بمقتل بلدوين سيد الرملة خير فارس عندك، فإذا خسرت أيضاً مساعدة الكونت ريموند ونصيحته، انتهى أمرك".

وعند ذلك الحد وافق جي وأرسل إلى ريموند سفارة مكونة من جوسياس رئيس أساقفة صور، ومقدمى الداوية والإسبتارية في طبرية، ومعهم باليان إبليين للمرة الثانية<sup>(١)</sup> اضطر ريموند إلى قبول الصلح مع جي بعد نجاح قوات صلاح الدين في إلحاق

---

(١) ذيل وليم الصوري، ص ٥٤-٥٥، انظر أيضاً، ابن الأثير: الكامل، ج ١١، ص ٥٢٧، وكذلك، رنسيان: المرجع السابق، ج ٢، ص ٧٢٨-٢٩٠.



اضطر ريموند إلى قبول الصلح مع جي بعد نجاح قوات صلاح الدين في إلحاق الهزيمة بقوات الصليبيين في وقعة عيون كريسون ١١٨٧م/٥٨٣هـ<sup>(١)</sup>.

فأعلن نقضه للمعاهدة، ثم ذهب إلى الملك في بيت المقدس وبإيعاه وأعلن خضوعه له. وهناك تلقاه جي ورحب به ترحيباً صادقاً، واعتذر له عن الطريقة التي تم بها تتويجه وتراعت المملكة وكأنها اتحدت آخر الأمر<sup>(٢)</sup>.

مع اقتراب المعركة الحاسمة بين صلاح الدين والصليبيين، تصاعدت وتيرة التنافس والصراع واشتد التوتر بين فريقى البارونات من الفرنج للمستوطنين، وحزب المغامرين من

---

(١) تقع عيون كريسون بين صفورية وكركنا. انظر، ياقوت الحموى : معجم للبلدان، بيروت، ١٩٧٩، ج٤، ص ٤٧٠.

(٢) ما إن حضر كونت طرابلس ورآه الملك ترجل عن جواده وانتصب واقفا على قدميه، وفعل الكونت هو الآخر مثله فنزل عن حصانه واتجه إلى جي ثم خر أمامه راكعاً على ركبتيه، فرفعه الملك وطوقه بذراعيه وعانقه وقبله، ثم عادا الإثنان إلى نابلس وأقاما بها، وراح الملك جي يعتذر للكونت، والكونت يقول له أنه مستجيب لما ينصحه به متى سلمت مملكته واستقرت دعائمها وحكمت حكماً سليماً، إلا ان عدم صدق النية والحسد المؤديان إلى الكراهية بدلا من المحبة كانت تحولان بين الملك وعمل أى شئ يشير به عليه - كما سنرى فيما بعد- انظر ذيل وليم الصورى، ص ٦٤. . Ermoul, op.cit,pp.143,154.

ولقد أشار ابن الأثير إلى أن كثير من قادة الفرنج قد أنكروا علاقة ريموند بصلاح الدين، كما أن للبطريك هدده بأن يحرمه وأن يفسخ نكاح زوجته، وأن ريموند عندما رأى شدة التهديد اعتذر وتتصل وتاب فقبلوا عذره، وغفروا زلته. للمزيد انظر، ابن الأثير : الكامل، ج ١١، ص ٥٣٢.

ويرى المؤرخ سميل أن كل المخططات التي خطط لها وديرها حزب البارونات المعادى لجي، ومحاولاتهم للمضنية طرده من الوصاية والحكم، وإحلال أحدهم محله بحيث يصبح المستشار الأول للمملكة، ثم الملك بعد ذلك باعت بالفشل، وأن الأحداث التي تلت ذلك يتحمل الجميع مسئوليتها، وبالتالي فليس البارونات لبرياء منها كما حاول كتاب الحوليات إيهامنا بذلك، لأنهم كانوا عديمى الضمير ومتحجرو القلب بما يكفى لأن يرفضوا أن تملى عليهم القرارات من أحد. للمزيد انظر : . Smail, op.cit,p.172

القادمين الجدد خاصة مع وجود رينودي شاتيون وأفعاله المشينة، هذه الخلافات ستبدو أكثر وضوحاً مع تفاصيل المعركة منذ بداياتها إلى نهايتها أولاً بأول.

ولقد اتضح مدى سيطرة كل من رينو دو شاتيون (أرناط) وجيرار دو رينفور مقم الداوية على الملك جى لوزينان، فلم يكن له معها كلام، ولم يرفض مشورتها أبداً، بل لم يقدر إلا أن يطيعهما، والدليل على ذلك كثرة الأفعال المشينة التي فعلها أرناط ضد قوافل المسلمين وخرقه للهدنة المعقودة بين المسلمين والصليبيين أكثر من مرة، وعدم قدرة جى على معاقبته أو دفع التعويضات اللازمة للمسلمين ولصلاح الدين عن ذلك<sup>(١)</sup>. ويرجع المؤرخون سبب موقف جى من أرناط أن الأخير كان له فضل كبير في تتويجه ملكاً فصار بذلك صاحب يد عليا عليه<sup>(٢)</sup>، أما مقدم الداوية فكان كما أشرنا يكره ريموند كونت طرابلس كراهية مطلقة

(١) تعددت الأفعال السيئة التي أقدم عليها ارناط، والتي كانت سبباً رئيسياً في اشتعال أوار الحرب بين المسلمين والصليبيين، ومن أمثلة خروقاته واعتداءاته، مهاجمته لقافلة إسلامية عام ١١٨١م/٥٧٧هـ، عند وادي تيماء على الطريق الممتد من دمشق إلى مكة، واستولى على كل ما تحمل من السلع التجارية. وعندما طلب صلاح الدين تعويضاً من الملك جى طالب الأخير أرناط برد ما سلب من القافلة فرفض اعتماداً على التأييد من أصدقائه في البلاط الملكي، ولم يستطع الملك الضعيف فعل شيء له؛ ثم كانت حملته على البحر الأحمر وتهديد مكة والمدينة، ونجاح أسطول المسلمين في ردها، وبعدها كانت جسارته في مهاجمة قافلة كبيرة في طريقها من مصر إلى دمشق عام ١١٨٦م/٥٨٢هـ. استولى عليها وحاز على غنائم كبيرة منها لم يسبق لها مثل. ورغم محاولات صلاح الدين استعادة الأسرى أو الحصول على تعويضات، وتوسلات جى لأرناط، لم يفعل شيئاً، ولم يكن بوسع جى أن يفعل هو الآخر شيئاً، مما جعل الحرب أمراً لا مفر منه، وهي حرب جلبت للوبال على المملكة المنقسمة على نفسها. للمزيد انظر: ابن شداد: المصدر السابق، ص

٦٠، ابن الأثير: الكامل، ج ١١، ص ٥٢٧، وأيضاً Ernouf, op.cit, pp.143-154.

وكذلك رنسيمان: المرجع السابق، ج ٢، ص ٦٩٧-٦٩٨، ٧٠٦-٧٠٩، ٧١١.

(٢) رنسيمان: المرجع السابق، ج ٢، ص ٧٢٧-٧٢٨، Smail, op.cit, loc. cit.

وبالتالى حاول جاهداً دحض وإبطال مفعول أى نصيحة يقدمها ريموند للملك جى<sup>(١)</sup>، فعندما وصلت الأخبار باجتياز صلاح الدين نهر الأردن، وإقدامه على حصار طبرية وفيها زوجة ريموند إيشيفا إيلين، والتي تحصنت بقلعة المدينة. عقد الملك جى مجلساً للبارونات فى عكا، وكان ريموند أول من تحدث فى الاجتماع، فأشار على الملك بأن الجيش الذى يهاجم فى حرارة الصيف لللافحة، لن تكون الأمور فى صالحه. وبالتالى لابد أن تكون الخطة قائمة على أساس التزام الدفاع المطلق، فإذا لم يتعرض الجيش الصليبي للهزيمة، فلن يكون بوسع صلاح الدين البقاء بقواته الضخمة فى هذه البلاد الحارة فترة طويلة، وسوف ينسحب بعد فترة، ثم تصل بعد ذلك الأمداد من أنطاكية، وكانت الغالبية تميل إلى اتباع هذا الرأى<sup>(٢)</sup>. ورغم الخطورة التى تعرضت لها زوجة ريموند المحاصرة فى طبرية إلا أنه لم يتخل عن خطته، فقام فى صفورية بتكرار نفس خطبته فى عكا قائلاً: "إنه من حماقة التخلّى عن هذا الموقع القوى فى صفورية، والمخاطرة بالسير على جانب اللال الاجرد فى قيظ يوليو، ثم قال إن طبرية ما بينته والتى بها زوجته ومع هذا فهو يفضل أن تضع طبرية بكل ما تحويه على أن تضع المملكة". وحملت كلماته فى ثنابها الإقناع، وانفض المجلس فى منتصف الليل، بعد أن تقرر البقاء فى صفورية<sup>(٣)</sup>.

(١) كان الملك جى يحب جيرار دو ريدفور ويخشاه، فهو أحد الذين نصبوه ملكاً، وهو الذى اعطاه الأموال التى بعث بها ملك إنجلترا. انظر: سهيل زكار: حطين.. مسيرة التحرير من دمشق إلى القدس، دمشق، ط١، ١٩٨٤، ص ١٣٤.

(٢) لما فرغ الكونت من كلامه مع الملك رفضه كبير الدلوية وتمتم بكلمات سمعها ريموند بنفسه ولم يعرها اهتمام حيث قال كبير الدلوية للملك انه يتبرقع بجلد الذئب، ولكن ريموند رد على الملك قائلاً: "سيدى، إذا لم يقع كل شئى كما أخبرتك به .. إقطع رأسى" للمزيد انظر، ذيل وليم الصورى، ص ٦٨-٦٩. وانظر أيضاً رنسيما: المرجع السابق، ج٢، ص ٧٣٦.

(٣) عندما أنهى ريموند كلامه هذه المرة بادره أرناط قائلاً: "لقد أطلت فى التخويف من المسلمين، ولا شك أنك تريد، وإلا ما كنت تقول هذا، وأما قولك أنهم كثيرون، فإن النار لا يضرها كثرة الحطب". انظر: ابن الأثير، الكامل، ج١١، ص ٥٣٣، وانظر أيضاً، سهيل زكار: المرجع السابق، ص ١٣٠.

وفى ظلام الليل، وبعد انصراف البارونات إلى مواقعهم، تسلل مقدم الداوية إلى خيمة الملك وقال له "مولاي حذار..حذار من الرأي الذى أشار به عليك الكونت فما هو إلا خائن، وستعرف انه لا يضمر شيئاً من الحب لك، وإنما هو دائم السعى إلى ما يجلب العار، ويؤدى إلى ضياع المملكة، ونصيحتى لك أن تغادر هذه الناحية فوراً، لأنك إن لم تغادرها فسيأتى صلاح الدين ويهاجمك، فإن هو هاجمك فلن تجد أمامك سوى الانسحاب وتكون حينذاك قد جللت نفسك بالعار، وألحقت بها الشنار، فأعلن فى الجيش كله، بان على كل رجل حمل سلاحه، والانتضمام إلى جماعته، للانضواء تحت لواء الصليب المقدس"<sup>(١)</sup>.

استجاب الملك لمقدم الداوية، وأمر البارونات بتحريك المعسكر ليلاً من صفورية فاستغربوا وطلبوا منه أن يبقى المعسكر الليلة على الأقل، كما طلبوا منه أن يعرفوا من الذى أشار عليه بهذا الأمر، وهذا الرأي الخطير، فأجابهم ليس من شأنكم أن تسألونى عن أشار على بذلك الرأى حتى نزلت عليه وأخذت بمشورته، والآن فإنى أريد منكم أن تمتطوا جباياكم وتتركوا هذه الناحية وتتطلقوا شطر طبرية، فاضطروا كأفصال أن يطيعوه، وليتهم ما فعلوا<sup>(٢)</sup> اضطر ريموند أن يكون على مقدمة الجيش، ولم يتوافر الماء على طول الطريق، وأصاب الرجال والخيول الظما، إضافة إلى رماة السهام من المسلمين الذين أمطروا مقممة

(١) ذيل وليم الصورى، ص ٧٣-٧٤، وانظر أيضاً رنسيان : المرجع السابق، ج ٢، ص ٧٣٦

(٢) لم يكن جى جياناً، بل مغامراً متهوراً استطاع مقدم الداوية دغدغة مشاعر الحماسة والتعصب للصليبي عنده، كما عرف كيف يجعله العوبة فى يديه إلى الحد الذى جعل أحد المؤرخين يتهم جيرارد بأنه "الرجل الذى ضاعت الأرض على يديه، وهو اتهام يحمل فى طياته السخرية من الملك الضعيف جى لوزينان، وفساد مستشاريه الذين لم يهتموا إلا برغباتهم ومصالحهم فقط...انظر، ذيل وليم الصورى، ص ٧٤، وانظر أيضاً زكار: المرجع السابق، ص ١٣٥ .

وعندما بلغ صلاح الدين خبر مسير الفرنج من صفورية إلى طبرية كما توقع صرخ قائلاً "جاءنا ما نريد، ونحن أولو بأس شديد، وإذا صحت كسرتهم فطبرية وجميع الساحل ما دونه مانع، ولا عن فتحه وازع".  
انظر : العماد الأصفهاني: المصدر السابق، ص ٧٧ .

الجيش ومؤخرته وقلبه بوابل من السهام، فاضطر الجيش للتوقف عند تل حطين رغم توسلات البعض باستمرار السير، لكن الملك جى قرر التوقف تلك الليلة بعد أن اشتد تأثيره بما حل لرجالهم من تعب وإرهاق. وما إن علم ريموند بهذه الأنباء حتى أخذ يصيح "يا الله... انتهت الحرب، لقد هلكنا، وزالت المملكة"، أما صلاح الدين، فكان فرحاً مسروراً إذ حانت له آخر الأمر الفرصة التي كان يبتدئها وخطط لها<sup>(١)</sup>.

ما جرى بعد ذلك معروف، حيث تمت الهزيمة كاملة على الصليبيين، ونجح كل من ريموند وباليان إيلين، وحاكم صيدا "رينو" أن يشقوا طريقاً ويهربوا خارج المعركة، أما الباقون أي أفراد الحزب المتحمس المتعصب للقادمين حديثاً، فقد وقعوا كلهم أسرى لدى صلاح الدين الذي عاملهم معاملة حسنة إلا لرناط الذي أطاح برأسه جزاء أفعاله وجراته. والحقيقة أنه جرت في حطين زيادة جيش ضخيم لم تحشد المملكة مثله من قبل، وضاع الصليب المقدس، وصار المنتصر سيد العالم الإسلامي بأسره<sup>(٢)</sup>.

ترتب على معركة حطين والهزيمة التي لحقت بالفرنج فيها نتائج خطيرة وتداعيات كثيرة على مستقبل المملكة عامة، وعلى مستقبل العلاقة بين فريقى القادمين الجدد وبارونات الشرق من الفرنج المستوطنين خاصة.. وهنا لا بد أولاً من البحث عن أسباب الهزيمة، ومن المسئول عنها؟

السبب الرئيسى فى الهزيمة يعود إلى الأخطاء الاستراتيجية فى المعركة؛ وهى الأخطاء التى وقع فيها الصليبيون، وخاصة فى فهم عقلية واستراتيجية صلاح الدين والجيش الإسلامية من ناحية، وفى اختيار توقيت التحرك والهجوم لملاقاة صلاح الدين، من ناحية أخرى. وفى هذا الخصوص نرى أن ريموند الثالث كونت طرابلس كان أعرف بالمنطقة من

(١) رنسيان : المرجع السابق، ج٢، ص ٧٣٨، زكار : المرجع السابق، ص ١٤٢ .

(٢) ابن شداد : المصدر السابق، ص ٧٥-٧٩، ابن الأثير : الكامل، ج١١، ص ٥٣٤-٥٣٦، ابن واصل :

المصدر السابق، ج٢، ص ١٨٤-١٩٢، وأيضاً : Ernoul, op.cit, pp.170-174.

وكذلك: رنسيان : المرجع السابق، ج٢، ص ٧٣٩-٧٤٢، سميل : المرجع السابق، ص ١٨٧-١٨٨ .

سواء من الأمراء، كما كانت معارفه الحربية وقدراته التكتيكية مشهورة، كما كان لديه القدرة على الإقناع وعرض أفكاره بشكل واضح ومنطقي؛ ليس هذا فحسب بل كان يعرف استراتيجية صلاح الدين واستراتيجية جيشه الذي كان نصفه من المتطوعة الذين يفتنون الصبر بعد قليل من المرابطة، والنصف الآخر من أمراء الإقطاع وحكام الأطراف الذين تمتلكهم الرغبة الشديدة في العودة إلى أراضيهم، ومما تقدم لم يكن صلاح الدين وهو معسكر في أرض عدوه في وضع يسمح له بالمرابطة طويلاً، فرأى ريموند أن الواقع والصواب للبقاء في معسكر صفورية وعدم التحرك لملاقاة صلاح الدين، لأن في ذلك مجازفة بالخروج في جو حار والسير في صحراء جرداء عديمة الماء مسافات طويلة ترهق المقاتلين وتجعلهم في وضع لا يسمح لهم بالقتال الجيد والمجدي، وهذا معناه أن ريموند فهم أن هذا شرك منصوب من المسلمين لابد من تفاديه كما تشير المصادر اللاتينية<sup>(١)</sup>، كما كان يرى أن علاقاته بصلاح الدين تسمح له بالحصول على انسحاب جيوش صلاح الدين والحيولة دون حدوث قتال، وهذا أفيد للصليبيين من أي شيء آخر. وللحقيقة أن ريموند هنا يمثل الحزب الذي ينتمي إليه خير تمثيل وهو حزب بارونات الشرق الذي يميل إلى المهادنة وتجنب الحرب ما وجد إلى ذلك سبيلاً، بعكس الحزب الآخر من للقائمين للذين يمتازون بالحماسة والتعصب، وبالتالي كان من الصعب، بل والمستحيل، قبول آراء ريموند أو تطبيقها. وقد أحس هو بهذا قبل أن يتكلم حين قال: أعلم علم اليقين أنه ما من أحد منكم يرغب في تصديقي<sup>(٢)</sup>. أما أعضاء الحزب الآخر المعادي لريموند وعلى رأسهم جيرار نو ريدفور وأرنات فقد اعتبروا التحرك لنجدة طبرية وعدم البقاء في المعسكر عملاً من أعمال الشرف والفروسية لا يجوز تأخيرها، وبالتالي حركتهم عواطفهم وغرائزهم رغم أن قرار التحرك هذا كان من أشد وأكثر الأعمال حماقة، يضاف إلى ذلك سوء اختيار توقيت التحرك والزحف المفاجئ الذي كان في ساعات ما قبل

(١) ذيل وليم الصوري، ص ٦٩ .

(٢) ذيل وليم الصوري : ص ٦٨-٦٩ . Er mou l, op.cit,p144-150.

وانظر أيضاً، زكار : المرجع السابق، ص ١٢٧، ١٢١-١٢٢ .

الفجر، وهو وقت تكون شجاعة الرجال فيه في أننى مستوياتها انخفاضاً، فأصيب الجنود بالتوتر والضيقة، وانتشر بينهم الشعور باليأس وتوجس الشر، وأن الكارثة قريبة الوقوع، وهى ظروف نفسية سيئة أفرد لها المؤرخون الغربيون قدامى ومحدثين صفحات كثيرة<sup>(١)</sup>.

بناءً على ما تقدم، نرى أن ريموند أشار بالرأى الصحيح، لكن كلمته لم تكن مسموعة لتنفيذ، كما أن حزبه لم يكن للحزب الحاكم، وكان عدواً لجي وأعوانه وخاصة جيرار دو ريدفور، ذلك الحزب الذى كان لا يثق فى ريموند ليس هذا فحسب ولكن أيضاً يعتبره خائناً لا يجوز الوثوق فى كلامه مطلقاً. ولا شك أن جى وأرناط ورفاقهم قد آمنوا بذلك إيماناً مطلقاً، وهذا لب القضية، فالصراعات الشخصية والعداوات الفردية جعلت الأمور تتداعى، والأحكام تمتزج بشكل جعل من المحال التمييز فى عقولهم بين ريموند خصمهم، وريموند العسكرى المجرب والاستراتيجى الخبير<sup>(٢)</sup>.

وإذا كان فرسان الصليبيين أنكباء ولا يقلون شجاعة ولا حنكة عن صلاح الدين، كما ان البارونات كانوا عقلاء فهموا بدقة وبدرجة كافية حجج ريموند وخططه، فعلى من تقع مسئولية ما حل بالصليبيين فى حطين، وهو سؤال اختلفت الإجابة عليه بين المؤرخين، فهناك من يرى أن جيرار دو ريدفور هو الذى تقع عليه المسئولية، يشاركه فيها أرناط ومن مائله من القادة فى تركيبة الشخصية والصفات. فهل تحكمت فى هؤلاء مشاعر العداوة لريموند فقط، أم أن الأمر مرتبط بالرعونة والطيش وانعدام الصبر والرغبة فى الثأر والتهور مع التعصب، والطموح فى الاستيلاء على ممتلكات إسلامية جديدة<sup>(٣)</sup>. اعتقد أن كل هذا صحيح. هناك من ألقى باللائمة على جى باعتباره الملك صاحب قرارات التحرك وأى قرار آخر خطير، واتهموه بالضعف والجبن، وأنه لم يملك الجرأة فى مواجهة الرجال الذين أقاموه

(١) ذيل وإيم الصورى : ص ٧٤-٧٥، Ernoul, op.cit.p.146-148 وانظر أيضاً، رنسيان : المرجع

السابق، ح ٢، ص ٧٣٤-٧٣٥؛ زكار : المرجع السابق، ص ١٣٥ .

(٢) رنسيان : المرجع السابق، ج ٢، ص ٧٣٦، زكار : المرجع السابق، ص ١٣٣ .

(٣) زكار : المرجع السابق، ص ١٦٦ .

على عرش المملكة، وخاصة جيرار الذي كان يحبه بل يخشاه تماماً ويعتمد عليه اعتماداً كلياً. لكن هناك من يدافع عنه ويرى أنه لم يكن ليقبل النصيحة من ألد أعدائه ريموند، لأن جنود العدوة متأصلة عنده ضد ريموند وحزبه، بينما قبل نصيحة جيرارد غير الصحيحة لما سبق أن قلناه من تأثير جيرارد عليه، ويرى أصحاب هذا الرأي أنه لا يمكن الحكم بإدانته جى، لأن الذين تصدوا للكتابة عنه من المؤرخين القدامى كانوا من أعدائه<sup>(١)</sup>، وهذا دفاع واه لا يقبله المنطق ولا تستقيم في ظله الأمور، فقد كان جى ضعيف الشكيمة، وليس لديه القدرة على سياسة رجاله، والأدلة كثيرة على عدم قدرته مثلاً على كبح جماح أرنات رغم خروقاته الكثيرة للهدنة التي كانت بين المسلمين والصليبيين، وكذلك اتباعه لجيرارد في كل كبيرة وصغيرة، وهي أمور جعلت بعض الفرسان يتهمون عليه مثل تلك الفارس الذي يدعى جيوفروا Geoffroi Francliew الذي ذهب إلى الملك وقال له "مولاي الملك، لقد آن الأولان لتجعل البولان غالبين على رجال مملكتك"، كما أن الشعب الفرنجى من المستوطنين كان يكرهه لأنه حين تولى الحكم راح البولانيون من بنى جلده ينشدون فيما بينهم فى القدس أغنية أسخطت رجال المملكة سخطاً شديداً<sup>(٢)</sup>.

(١) المقصود بذلك بالتحديد المؤرخين إرنول ووليم الصورى - كما سبق أن أوضحنا -.

انظر : Smail, op.cit,p.177.

(٢) ذيل وليم الصورى، ص ٨٦، وكلمات الأغنية هي : *Maugre li polian* وتعنى، ليتدمر وليغضب البولانى . *Avrons nous roi paitivin* وتعنى، لنغيظهم بملكننا البولانى .

والحق ان كثير من الكتابات والمصادر اللاتينية تعتبر جى فى نظرهم "مجرد غلام ضعيف وغبى" ورجل حسن المظهر بلا قيمة، كان اختياره مجرد نزوة إمراة وضجر وسأم ملك يحتضر . لكن هذه الصورة صورة مبالغ فيها وفيه تشويه لشخصية جى، ومحو أى صورة أو عمل إيجابى له . وهذا يناقض الوقائع فهناك بعض الأدلة على أنه كان شجاعاً وحازماً، وقد ظهر ذلك بعد تحرره من أسر صلاح الدين، فبقى فى عكا أثناء حصارها وصمم على الحصول على حقوقه كاملة كملك بعد وفاة زوجته؛ كما نجح فى تأسيس حكومة له فى قبرص .

• للمزيد انظر : Smail, op.cit,p.164.



وهناك من أدان ريموند واتهمه بعدم الضمير وتحجر القلب بعد نجاحه بطريقة ما فى أن يهرب من المعركة هو وأولاده الأربعة وكثير من فرسانه تاركين بقية زملائهم يلاقون مصير القتل أو الأسر<sup>(١)</sup>، فاعتبروا ذلك دليلاً قوياً على خيانتة وتفضيله مصلحة الشخصية على مصلحة الصليبيين ككل.

نستخلص مما تقدم أن الروح العدائية والصراع بين شطرى المجتمع الصليبي من القادمين الجدد وبارونات الشرق المستوطنين هو السبب الرئيسى والأساسى فيما حل بالصليبيين من كارثة، اعتبرها للبعض كارثة عاصفة هوت بالمملكة دفعة واحدة من السفح إلى الهاوية، فى حين يرى آخرون أن هناك شك فى تعاضم نتائج هزيمة حطين. ويعتمدون فى وجهة نظرهم على أن الفرينج ظلوا لمدة قرن تال قادرين على المقاومة على الساحل، وقادرين على ممارسة نشاط كبير فى الداخل، بيد أن ميزان القوى جعل من المستحيل عليهم منذ تلك اللحظة أن يحافظوا على المملكة والإمارات الأخرى فى الظروف السابقة التى كانت عليها<sup>(٢)</sup>. وفى النهاية لا نملك إلا القول بأن هزيمة حطين تركت آثارها واضحة على العلاقة بين الفريجين المتنافسين فيما بعد، حيث تزايدت نظرات الشك والريبة، وزاد سوء الفهم المتعمد أحيانا من قبل كل طرف من الطرفين، وهو الأمور التى ستكشف عنها الأحداث التالية.

(١) مات ريموند نهاية عام ١١٨٧م/٥٨٣هـ، وكان قد خر مريضاً بالالتهاب البلورى بعد هروبه من حطين، واعتقد بعض الناس أن مرضه يرجع إلى الأسى والعار بسبب اتهام الكثير من المعاصرين له بالخيانة وأن أنانيته أدت إلى تدمير المملكة، أما المؤرخون المسلمون فأشاروا إلى وفاته بالالتهاب الرئوى. للمزيد انظر : Eracles, L'estoire de Eracles Empreur et la Conquete de la terre d'outremer, ed, R.H.C.-H.Occ, T.II, Paris, 1859, P. 72.

وانظر أيضا: ابن شداد، المصدر السابق، ص ٦٠، ابن الأثير : الكامل، ج ١١، ص ٥٣٨. وانظر كذلك، رنسيان، المرجع السابق، ج ٢، ص ٧٥٩. وأيضا، Smail, op.cit.p.172، زكار : المرجع السابق، ص ١٥٥.

(٢) كاهن : المرجع السابق، ص ١٩١.

فيما يتعلق بالأزمات التي لم تكن نتائجها خطيرة، لكنها ساهمت في استمرار حالة القلق والتوتر داخل المجتمع الصليبي. تشير إلى أن الحملة الثالثة على سبيل المثال لم تحقق - بكل ما جاءت به من قوة عسكرية وملوك كبار - نتائج ذات قيمة اللهم إلا استرداد بعض المعاقل الساحلية مثل عكا وحيفا وغيرهما، وكذلك تحقيق بعض الانتصارات الطفيفة على المسلمين مثل انتصارهم في معركة أرسوف ١١٩١م/٥٨٧هـ<sup>(١)</sup>؛ لكن رغم هذه النجاحات فقد كان هناك مصادمات متنوعة بين رجالات الحملة من القادمين الجدد والسكان المقيمين من الفرنج المستوطنين؛ من ذلك أنه بعد استرداد عكا من المسلمين ١١٩١م/٥٨٧هـ، بدأت المشاجرات بين الصليبيين بعضهم بعضا حول الأسبقية أو من ينبغي أن يعيش في المدينة، ولذا وجدنا التجار الإيطاليين الذين كان لديهم ممتلكات في المدينة - قبل سقوطها في أيدي المسلمين - يبذلون كل ما أمكنهم من أجل استعادة ممتلكاتهم مرة أخرى على حساب القادمين الجدد الذين قاتلوا معهم جنبا إلى جنب زمن الحصار<sup>(٢)</sup>، كذلك استحوذ الجشع والطمع على الكثيرين لدرجة أن كونت بار للشجاع استحوذ على فسطاط السلطان ذاته، بينما كان الأمان قائم بنهب معسكر المسلمين بعد خروجهم وتملكتهم الأناطية والجشع، بل أن ريتشارد قلب الأسد أصدر أوامره بعدم دخول دوق برجنديا ورجاله إلى عكا لئلا تكون إقامته سببا في إلحاقه الضرر بها أو تكون مصدر إزعاج أو سبب في فضيحة ينجم عنها مشكلة<sup>(٣)</sup>.

(١) للمزيد من التفاصيل حول هذه المعركة ونتائجها، انظر: ابن شداد: المصدر السابق، ص ١٧٥-١٧٨،

أبو شامة، للروضيين، ج ٢، ص ١٩٠-١٩١.

(٢) المؤرخ المجهول: الحرب الثالثة، ص ١٤٦.

(٣) كان فرجالا فرنسيون يعضون لياليهم في حفلات الشراب، ولا يعرف النوم سبيلا إلى أحفانهم، فإذا ما احتكمت حمى الشراب، تأججت فيهم رغبة جامحة إلى الفتيات، فيسعون إليهن، ويطلقون أبوابهن، فإن وجدوها مغلقة أمامهم أو سبقهم إليها أحد هموا بتحطيمها وانطلقوا يسيرون ويتفوهون بألفاظ ينزعج مع سماعها كل رزين وعاقل. انظر: المؤرخ المجهول، الحرب الثالثة، ص ١٥٤، وأيضا أنتوني بروج: المرجع السابق، ص ٢١٢.

في فترة الهدنة عام ١٢٠٢م رفض عموري الثاني Amaury II ملك بيت المقدس ( ١١٩٧-١٢٠٥م/٥٩٤-٦٠٢هـ) القيام بأى عمل من شأنه تقويض السلام مع المسلمين حتى تصل الحملة التي دعى إليها البابا إنوسنت الثالث Innocent III ١١٩٨م/٥٩٤-٥٩٥هـ، وهو ذات العام الذي اعتلى فيه كرسى البابوية، ولذلك لم يوافق عموري الفرسان الفلمنكيين الذين كان عددهم بضع مئات، والذين قدموا إلى عكا ١٢٠٢م/٥٩٨-٥٩٩هـ، وكذلك بعض الجموع الفرنسية التي لحقت بهم في مطلع العام التالي، والذين رغوا في قتال المسلمين ومحاربتهم<sup>(١)</sup>، ورفض عموري أن يشاركهم في القتال بحجة أنه يدخر قواته لعمل عسكري شامل كان يعد العدة له، ولذلك توجهوا إلى أنطاكية ودخلوا في خدمة أميرها<sup>(٢)</sup>. والحقيقة أن أفراد هذه الجماعة ارتاعوا عندما أمرهم الملك عموري بالتزام الصبر، فوجه إليه أحدهم ويدعى رينو دو دامبير Renaud de Dampierre للسباب علناً ونعته بالجبن، وكانت نتيجة مغامرة دامبير ورجاله نجاح أمير اللانقية المسلم في الإيقاع بهم في كمين، فأسر من أسر وأجهز على الباقين<sup>(٣)</sup>، وهنا لم تتفهم حماستهم ولا اندفاعهم وهي الأمور التي حذرهم منها عموري باعتباره ممثلاً لبارونات الشرق العارفين بالمنطقة المدركين للظروف واستراتيجية التعامل مع المسلمين.

(١) كان يقود الأسطول الفلمنكي الذي حمل هؤلاء الرجال يوحنا نسله. قسطلان بروج، وقد انضم إليه فرسان من مرسيليا بزعامة ولتر أسقف أوتون، وكونت فوريز، وجماعة أخرى من الفرسان الفرنسيين منهم كونت بيرش، وروبرت كونت مونتفورت، ورينو الثاني كونت دامبير.  
انظر للمزيد : Ernoul, op.cit,p.341.

(2) Ernoul, op.cit, loc, cit,

وانظر أيضا: رنسيان: المرجع السابق، ج٣، ص ١٨٦-١٨٧، عمران : المرجع السابق، ص ١٠٦ .  
(٢) أعلن رينالد مونتراول - الذي وكان واحداً من الذين تركوا الجيش الصليبي في زارا والتحق بهذه الجماعات - أنه لم يتخذ للصليب إلا ليقاوم المسلمين، وبالتالي كان تخليه عن الحملة الرابعة متجهاً إلى الشام.  
انظر، رنسيان : المرجع السابق، ج٣، ص ٢١٠

وعندما نجحت الحملة الرابعة في تأسيس المملكة اللاتينية في القسطنطينية، أدرك فرسان الغرب المغامرون من القادمين الجدد أنه لا داعى مطلقاً لأن يمضوا في طريقهم إلى مملكة بيت المقدس المكتظة، في سبيل الحصول على بارونية أو الزواج من وراثه إقطاع؛ ففي بلاد اليونان ما يفوق أراضي بيت المقدس جودة وغنى، ولذا لم يقم إلى بلاد الشام بعد تأسيس المملكة اللاتينية في القسطنطينية التي تعرف اختصاراً باسم رومانيا سوى المجندين في الخدمة بالطوائف الدينية العسكرية<sup>(١)</sup>. ومن هنا كانت للحملة الرابعة تمثل النموذج الحى للحماقة السياسية العاتية، وهى أكبر دليل على فساد دوافع الصليبيين، وأكبر دليل على تغير الروح الصليبية المتحمسة المتعصبة لدماء المسلمين، والتي أحدثت انهياراً وجدانياً لدى بعض المخلصين للحركة الصليبية من المسيحيين، كما أنها تسببت فى إنقطاع المساعدات عن الفرنج فى فلسطين، والأكثر من ذلك أنها سلبتهم أنصارهم الأوفياء وقلبت رأساً على عقب كل وسائل الدفاع عن العالم المديحى<sup>(٢)</sup>.

ومع استمرار الظروف التى أحاطت بالصليبيين فى الشرق بعد الحملة الرابعة وتأسيس المملكة اللاتينية بالقسطنطينية، أصبح وضع فرنج الشرق أو المستوطنون أكثر صعوبة كما أوضحنا، لكن رغم ذلك فقد كانوا لا يتحمسون لقدم حملات جديدة، فعندما جاء ملك المجر أندرو Andro، وليو بولد الرابع Leopold IV دوق النمسا إلى الشرق فى حملة عام ١٢١٧ م/٦١٤هـ، جلبوا معهم حوالى خمسة آلاف جندى لغزو بلاد المسلمين، وجدنا الفرنج فى

(١) فيلها ردوان : مذكرات فيلها ردوان - فتح القسطنطينية، ترجمة وتعليق حسن حبشى، جدة ١٩٨٢م، ص ١٣٣-١٣٢ .

والجنير بالسكر أن الملك عمورى الثانى ملك بيت المقدس عندما عقد فى سبتمبر ١٢٠٤م/٦٠١هـ، هدنة مع الملك العادل، ردد فى أسف شديد قاتلاً "إنه ما من أحد يحفل بالقدوم من فرسان الغرب - عن طيب خاطر - إلى فلسطين، إذ أن الحروب للصليبية عثرت من جهة أخرى على أرض صيدا أكثر غزارة وأوفر غنى .

انظر : Ernoul, op.cit, p.407، وانظر أيضاً : رنسيان : المرجع السابق، ج ٣، ص ١٩١ .

(٢) رنسيان : المرجع السابق، ج ٣، ص ٢٣٣-٢٣٢ .

الممالك الصليبية لم يتأثروا كثيراً برويتهم ولا بقومهم حيث كانوا يعيشون في إزهار اقتصادى ترتب على العلاقات السلمية التى سادت بينهم وبين خلفاء صلاح الدين، الذين كانوا كذلك مشغولين بالقتال فيما بينهم على ميراثه، وبالتالي كان الصليبيون فى الشرق فى نعيم مقيم تسبب فى ذهول هؤلاء القادمين الجدد الذين رفضوا بشدة فكرة العيش فى سلام مع المسلمين، وكانوا يتحرقون شوقاً لقتل العديد منهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، كما دهشوا أكثر لحالة الغنى والترف التى تمتع بها الفرنج فى الممالك الصليبية كسئ اعتيادى، وكذلك ملابسهم وعاداتهم الشرقية، وهى أمور جعلتهم من وجهة نظر القادمين الجدد كسالى خاملين، انغمسوا فى الفسوق مع أعداء الصليبيين، دون أى إشارة عن العداء ضدهم<sup>(١)</sup>.

فى إطار هذه الروح القائمة بين الفريقين لم تكن هذه الحملة لتتجح، ولذلك فلم تحقق سوى نجاح بسيط تمثل فى نهب بيسان والاستيلاء عليها، ثم القيام بالطواف حول بحيرة طبرية دون تحقيق أى شئ جديد. لكن ديونيس Dionise ابن أخت أندرو عزم على مهاجمة جبل صيدا، رغم تحذيرات حاكم صيدا الصليبي له<sup>(٢)</sup>، لكنه صمم على ما يريد، وقام معه خمسمائة جندي من أبطال الصليبيين واتجه إلى الميدانة<sup>(٣)</sup>، فأخلاها أهلها، فنزل الصليبيون ليستريحوا ويريحوا خيولهم فلم يتركهم أهالى الميدانة لينعموا بالراحة، ونزلوا عليهم من الجبال واستولوا على خيولهم، وأعملوا فيهم السيف، فقتلوا وأسروا، وكان ديونيس نفسه من القتل، ولذا الباقون بالفرار<sup>(٤)</sup>.

(١) أنتونى بردج : المرجع السابق، ص ٢٤٣-٢٤٤ .

(٢) قال له حاكم صيدا الصليبي فى ذلك الوقت "بن أهل صيدا رماه، وهى بلد وعرة"، انظر عمران: المرجع

السابق، ص ٧٤ .

(٣) للميدانة، جزيرة قرب قرية مشفر الواقعة على سفح جبل لبنان. انظر : ياقوت الحموى : المصدر

السابق، ج ٤، ص ٥٤٠ .

(٤) بردج : المرجع السابق، ٢٤٥-٢٤٦، عمران : المرجع السابق، نفس الصفحة.

وهكذا ساهمت قلة عدد أفراد هذه الحملة، وعدم تنظيم أفرادها، وإهمالهم الاعتماد على قائد الجيش آنذاك جان دو بريين، إضافة إلى جهلهم المطبق بجغرافية المنطقة من جهة وعدم استجابتهم لنصائح الفرنج المستوطنين من جهة أخرى، إضافة إلى اهتمام أندرو بالحصول على بعض بقايا آثار القديسين وفرحته الشديدة لذلك، وإيثار هذا الأمر عما عداه من الأمور<sup>(١)</sup>، ساهم كل ذلك في عدم تحقيق هذه الحملة أى نتائج ذات بال، وإن كانت قد لغت أنظارهم إلى ضرورة السيطرة على مصر باعتبارها رأس الأفعى ومصدر القلق الدائم للصليبيين بالشام<sup>(٢)</sup>.

وهكذا انتهت الحملة الهنغارية دون تحقيق عمل مهم فى الشام، كما ساهم رحيل أندرو - على حد قول أحد الكتاب المحدثين فى فشل الحملة الصليبية الخامسة<sup>(٣)</sup>.

قبل مجئ الحملة الصليبية الخامسة، كانت البلاد بلا قائد يقودها، ولم يبق فى عكا ومدن الشام الأخرى إلا عدد قليل من الرجال الذين ولدوا فى الأراضى المقدسة، ولم يكن لهم وطن آخر غيرها؛ أما الفرسان المرتبطون بالأرض فقد توفى العديد منهم، بينما بقى على قيد الحياة فى المدن التجارية النخبة المتمسكة بحريتها، والتي كانت تتمتع بخبرة كبيرة فى فن التجارة مع المسلمين أكثر من خبرتها فى محاربتهم، وكان لابد فى البداية من العودة إلى حملة جديدة

---

(١) أشار البعض إلى أن أندرو قد عثر على أنية فخارية عليها زخارف كبيرة، واعتقد أنها أحد الأباريق التى استعملت فى كانا فى الجليل، عندما حول السيد المسيح بأعجوبة ما فيها من ماء إلى خمر، ونكر آخرين إلى أنها كانت أحد الأوانى السبع المذكورة، وأنه حمل معها كذلك رأس كل من القديسة مارجريت والقديس ستيفن، إضافة إلى اليد اليمنى للقديس توماس، وأنه رحل بعد ذلك متجهاً من عكا إلى أرمينية ومنها أبحر إلى أكويلا Aquila ثم إلى بلاده، انظر : بردج : المرجع السابق، ص ٢٤٥، عمران، المرجع السابق، ص ١٧٦

(٢) لأهمية مصر فى العقيدة الصليبية لم يكن غريباً أن يضع - ليو بولد دوق النمسا والقادة المجرين الذين لم يعودوا إلى بلادهم مع أندرو، وكذلك النبلاء الكبار فى المنظمات العسكرية - أنفسهم تحت إمرة جان دو بريين لكونه ملك القدس، ولكونه جندي خبير ممارس . انظر، بردج : المرجع السابق، ص ٢٤٦ .

(3) Thomas C. Vancleve, The fifth Crusade, in setton, vol.II, Philadelphia, 1962, p.394.

تتعش الآمال، بيد أن الإيمان لم يعد كما كان، ويبدو أنه كان قد تجمد كما يشير أحد الكتاب المحنثين<sup>(١)</sup>.

لا تعيننا تفاصيل الحملة الخامسة بقدر ما يعيننا الاختلافات والصدمات التي حدثت بين قائدى الحملة ورجالات كل واحد منهما، جان دو بريين الفارس الفرنسى الذى أصبح من البولانى "المهور" أو بارونات الشرق، والذى كان يتكلم بلغة الفرنج المحليين ذاتها، لغة السلام والمصالح، فيقول : "المسيحية لا يمكنها تدمير الإسلام، والإسلام لا يستطيع ولا يريد تدمير المسيحية، وقد حكم على الديانتين بالعيش جنباً إلى جنب، إذ لماذا لا نحاول العيش فى سلام؟" أما القائد الثانى فهو المنسوب البابوى بيلاجيوس Pelagius بكل ما يمثله من عطرسة وكبرياء وتجرد من اللياقة والكياسة، وبالتالي كان شخصاً لا يملك من الهبة والشخصية ما يهيؤه لقيادة جيش مختلط، مما جعل كل مرحلة من مراحل هذه الحملة تحطمها الأحقاد القومية أو الشخصية<sup>(٢)</sup>، ومما زاد الطين بلة أن رجال الدين انحازوا إلى جانب بيلاجيوس فيما إنحاز القادة العسكريين إلى جان دو بريين، مما ساعد على زيادة انشقاق الجبهة الصليبية إلى شقين أو قسمين يخضع كل منهما إلى طرف من الأطراف المتصارعة، مما كان له أسوأ الأثر على الحملة بأكملها<sup>(٣)</sup>.

مما سبق يتضح أن المحصلة النهائية لهذه الحملة التى فشلت فشلاً ذريعاً، يتمثل فى نجاح بيلاجيوس فى تطوير أطر الصراع الطبيعى بين الفريقين وحوله إلى صراع متعدد الأطراف دخل فيه رجال الهيئات الدينية، والتجار الإيطاليين القاطنين فى فلسطين . فالمنسوب البابوى وحزبه من القادمين الجدد يرون أن سقوط دمياط يبشر بالفتح الكامل لمصر، يدعوه وصول تعزيزات قادمة من انجلترا والمانيا وهولندا . أما الإيطاليون من التجار فيرون أن

(١) ستامبولى : المرجع السابق، ص ٣٤ .

(٢) رنسيان : المرجع السابق، ج٣، ص ٣٠٢ .

(٣) عمران : المرجع السابق، ص ٢١٠-٢١١ .

Duggan, A. : The Story of the Crusade (1079-1291), London, 1963, p.215.

السيطرة على مصبات النيل سوف تسلم لهم أنشط مراكز تجارة الشرق دمياط والإسكندرية بالأخص، أما الجنود البسطاء فلا يرون إلا الفوز المتوقع بالأسلاب<sup>(١)</sup>. كما ساهمت عروض الملك الكامل للصلح - والتي رفضها المنسوب البابوي أكثر من مرة - في زيادة ثقة الخلاف بين الفريقين، فجان دو بريين وأكابر المملكة الفرنسيون يريدون قبول مشروع اتفاق يعيد مملكة القدس وينهى الحملة الصليبية، والفريق الآخر يرى في القتال الوسيلة الوحيدة للحصول على النصر والسيطرة على مصر كما ذكرنا، والنتيجة رحيل جان دو بريين إلى فلسطين وبقاء بيلاجيوس قائداً وحيداً للحملة. كذلك فشل المنسوب البابوي فشلاً ذريعاً في القيادة، فلم ينجح في التوصل تماماً للقضاء على المصادمات التي وصلت إلى حد استعمال السلاح بين الفئات المتناحرة من القوميات المختلفة، ولم تجر السيطرة على هذه الفئات إلا بعد توزيع الغنائم عليها، والتي تمثلت في إعطاء كل فئة حى في دمياط<sup>(٢)</sup>. إضافة إلى ما تقدم، فالملاحظ أنه بعد جولات من الصراع لم يحقق الصليبيين شيئاً، بل خرجوا من دمياط يجرون أنيال الخيبة والعار، رغم التعزيزات العسكرية التي حصلوا عليها من أوروبا، لكن تزايد الحسد والضغائن ودور المنسوب البابوي أدى إلى غياب الانسجام والوحدة بين هذه المجموعات المختلفة، والمحصلة النهائية أن الفرنج في بلاد الشام، المحصورين في ممتلكاتهم الساحلية يبدون أكثر ضعفاً حيال توحد الأيوبيين<sup>(٣)</sup>.

أما حملة فريديك الثاني التي تعرف بالحملة السادسة فقد تخلف عنها أزمة شديدة تسببت في حدوث حرب أهلية داخل المملكة للصليبية وتوابعها، وكالعادة فلن نركز على تفاصيل الحملة، ولكن سنأخذ منها ما يتعلق بأزمة العلاقة بين فريقى القادمين الجدد والبارونات المحليين، وهنا نشير إلى أن للبارونات المحليين قاوموا مقاومة شديدة محاولات

(١) ستامبولي: المرجع السابق، ص ١٢٦، بالار: المرجع السابق، ص ٢٢٥.

(٢) ماير: المرجع السابق، ص ٣٢٠، بردج: المرجع السابق، ص ٢٥٠.

(٣) بالار: المرجع السابق، ص ٢٢٦.



فريدريك الثاني لضم الدويلات الصليبية إلى إمبراطوريته، فلم يكن لديهم أدنى استعداد للتخلي عن مصالح مجموعتهم مطلقاً<sup>(١)</sup>.

كان لكل فريق من الفريقين منطقة للخاص، ففريق البارونات يقرون مبدأ السيادة الذي يجب أن يستقر فيهم، ويستندون في ذلك إلى قوانين مملكة بيت المقدس التي تعتبر ملك بيت المقدس ملكاً مقيداً بدستور، ولا يزيد كثيراً على أنه رئيس المحكمة العليا والقائد الأعلى، وبالتالي لا يمكن قبول قيام حكومة استبدادية عسكرية به، لأن المملكة في النهاية مملكة بالغة الضلالة، إذ لم ترد عن كونها مجموعة من المدن والقلاع انتظمت سواها في وضع محفوف بالمخاطر، دون أن يكون لها حد يسهل الدفاع عنه، وبالتالي فلم يكن من اليسير إقامة حكومة مركزية بها، فالسلطات المحلية رغم ما بينها من احقاد أو ضعفان كان لا بد أن تضطلع بالحكومة، وتخضع لزعيم لقب محترم، وقد وقع اختيارهم آنذاك على جون الأول إيلين John Ibelin، أعظم شخصية بالشرق الفرنجي، اشتهر بالجاه والثروة، كان يملك مدينة بيروت، وزوجته ورائثة إقطاع أرسوف، وقد اكتسبته خلاله الشخصية احترام الناس، فما حازه من أصل عريق، وثروة وافرة وشخصية متكاملة، كل ذلك جعله لعشرات السنين، الزعيم الذي أجمع البارونات في الشرق الفرنجي على قبوله، فهم الشرق وظروفه، وكان ذا إطلاع واسع، ودراية كاملة بتاريخ المملكة وقوانينها<sup>(٢)</sup>، أما الفريق الآخر الذي يمثل فريدريك رغم معرفته بالشرق وظروفه من خلال عقلية وتعليمه وتدريبه في صقلية، إلا أنه كان يميل إلى الحكم المستبد الذي ورثه عن أجداده الأجلاف في صقلية، وعلى نحو ما ألفه الرومان والبيزنطيون، فكان هو مصدر القوة والقانون، وولى الله في أرضه، فضلاً عما يضيفه عليه الحق الوراثي

(١) ماير : المرجع السابق، ص ٣٦٥-٣٦٦، بردج : المرجع السابق، ص ٢٥٢-٢٥٤ .

(٢) La Mont, op.cit,p.420.

من مزايا، ومن هنا كان يرفض أن يسيطر على إمبراطور الرومان فئة قليلة من صغار البارونات<sup>(١)</sup>.

تزايدت المشكلة وظهرت أكثر وضوحاً عندما عين فريديريك الثاني شخص يدعى ريتشارد فلانجييري Richard Flangieri نائباً عنه (١٢٢٩-١٢٤٣م/٦٢٧-٦٤١هـ)، وليكون مندوبه في الأراضي المقدسة، وهو عمل كان يعد سابقة خطيرة، ففي ظل قوانين المملكة رأى البارونات أنه يتحتم على الملك أن يقيم في عاصمة ملكه، فإذا تغيب جعل مكانه نائباً عنه، وكان البارونات يريدون حنا إيلين في ذلك، وبهذا تعقد الموقف بين فريديريك ورجال الشق اللاتيني إذ أنه بمجرد إرسال فريديريك لريتشارد فلانجييري نائباً عنه في المملكة، وحد جميع البارونات أنفسهم في معسكر واحد، وصارت الدولة منقسمة إلى فريقين، في الجانب الأول أتباع الإمبراطور من الفرسان الألمان وانضم إليهم البيزيون والبارونات الخمس المطردون من قبرص؛ وفي الجانب الآخر وقف ثلاثة وأربعون من كبار البارونات في الساحل الشامي والجنوبيين وملك قبرص. وكانت بيروت وعكا مركزى المعارضة، حيث تكونت من نبلاء المدينة والأسر الكبيرة جماعة متفاهمة حتى النهاية اتخذت من حنا إيلين قائداً لها في عام ١٢٣٢م/٦٣٠هـ، وباعتبار أنه أكثر الشخصيات تهديداً لرجال الإمبراطور أصبح روحاً للحركة<sup>(٢)</sup>.

(١) لم يغير البارونات للإمبراطور زرايته بالدستور، فرغم انه مجرد وصى، فقد عقد معاهدة دون رضاهم

وموافقتهم، كما قام بتتويج نفسه، ووقعت مصادمات بين العساكر المحليين وحامية الإمبراطور. انظر:

رنسيان: المرجع السابق، ص ٣٣٦، براور : المرجع السابق، ص ٥٧٢ .

(٢) اثناء مرور فريديريك في طريقه إلى ميناء عكا في الأول من أبريل ١٢٢٩م مغادراً الأراضي المقدسة، وفي شارع الجزارين الذى تعين عليه عبوره، كان الشارع مزدحماً بالناس الذين أطلقوا أصوات استهجان، ورحموه بقطع من الروث وكتل من الفضلات، وهناك سارع البارونات للقضاء على هذا الشعب، وعلى رأسهم يوحنا إيلين وأودو مونتبليارد، لكن فريديريك علم أن وراء وجوههم الرقيقة وابتسامتهم المهدبة كراهيتهم له، وعندما ودعوه وداعاً لطيفاً شتمهم وجهاً نوجه. انظر : Ernoul, op.cit,p.466, Les Gestes de Chiprois, p.50.

وبعد تولى فلانجييرى بالفعل احتل صيدا وصور، وأعلن مصادرة أملاك إيلين . ويبدو أنه كان رجلاً عنيفاً متهوراً يستند إلى جيش قوى يتألف معظمه من اللومبارديين الذين جلبهم معه . وقد حاولت العناصر المعتدلة التوسط للوصول إلى صيغة تفاهم بين الفريقين لإنقاذ المملكة من الهاوية السحيقة التي ستأخذها إليها الحرب الأهلية، لكن دون جدوى<sup>(١)</sup>.

على أية حال قامت الحرب بين الفريقين، حيث حدثت معركتين، الأولى شمال صور في قرية تسمى أمبرت ١٢٣٢م/٦٣٠هـ، انتصر فيها فلانجييرى بجحافل، والثانية كانت في قبرص في مكان يسمى أجريدي، وانتصر فيها آل إيلين وأتباعهم، لكنها لم تحقق انتصاراً ساحقاً، فصار الوضع كما هو إلى مزيد من الفوضى<sup>(٢)</sup>.

حاول فريدريك الثاني تهدئة الأوضاع بتعيين نائباً محلياً عنه، لكن أمه خاب، نظراً لأن فيليب موجا ستيل Philippe Mogastel الذي عينه كان مجرد شاب مخنث أسفرت صلاته بفلانجييرى عن فضيحة<sup>(٣)</sup>.

حاول البابا أيضاً حل المشكلة فأجبر على تعيين فلانجييرى نائباً عن الإمبراطور، على أن يساعده أودو مونتبليارد Odo Montbliord حتى شهر سبتمبر ١٢٣٦م/٦٣٤هـ ريثما يتم تعيين بوهمند أمير أنطاكية نائباً عنه، وأصدر أمراً بالعفو عن كل البارونات ما عدا آل إيلين الذين يجب أن يمثلوا أمام المحكمة كما رأى ضرورة حل قومون عكا<sup>(٤)</sup>.

لكن لا البارونات، ولا قومون عكا قبلاً هذه الشروط المجحفة بل تجاهلوا، لكنهم صعقوا حين مات جان دو إيلين فجأة إثر حادث تعرض له أثناء ركوبه . لكن البارونات

---

(١) كان على رأس هذه العناصر المعتدلة باليان سيد صيدا، وجارنييه الألماني، والبطريك ومقنمى الداوية والاستبارية . انظر : رنسيان : المرجع السابق، ج٣، ص ٣٤٨ .

(١) La Mont, The lords of Caesarea in the period of the Crusades, in spec, Vol. XXII, 1947, p. 157.

رنسيان : المرجع السابق، ج٣، ص ٣٤٨-٣٥٢، بالار : المرجع السابق، ص ١٧٧ .

(٢) رنسيان : المرجع السابق، ج٣، ص ٣٥٢ .

Les Gestes des Chiprois, pp.112-113.

(٣)

أصروا على مقاومة استبداد فريديك، ورغم سلامة موقفهم، إلا أنه أدى إلى شيوع مزيداً من الفوضى والاضطراب في البلاد، وجعلها صفة مشروعة<sup>(١)</sup>.

هكذا تسببت الحملة السادسة - رغم نجاحها النسبي - في تحسين أوضاع الصليبيين في الشرق - من خلال المكاسب التي حققها الإمبراطور فريديك باتفاقه مع الملك الكامل في إتفاقية يافا ١٢٢٩<sup>(٢)</sup>، إلا أنها تسببت في اشتعال الصراع بين الفريقين (فريق المستوطنين وفريق القادمين الجدد) ليتعقد الصراع وتزداد أزمة العلاقة بينهما استحكاماً. هناك بعض الأزمات الأخرى التي آثارها القادمون الجدد من الصليبيين لبارونات الشرق الفرنجي، سنعطى عنها نبذة مختصرة.

ففي عام ١٢٣٩م/٦٣٧هـ وصل ثيبو الرابع كونت شمباني Thibaut IV Conte Champagne إلى عكا، احتشد معه جيش مكون من من ألف فارس، كان يضم عدداً كبير من الفرسان القادمين، وبعض أفراد جيش البارونات المحليين، وفي هذا الصدد أراد ثيبو تحقيق بعض الإنجازات، فلم يستمع للبارونات المحليين الذين أوصوا بتوجيه الحملة إلى مصر، أو الآخرين الذي أوصوا بتوجيه الحملة إلى دمشق وتحصين قلاع الجليل<sup>(٣)</sup>.

خرجت الحملة من عكا في نوفمبر ١٢٣٩م قاصدة الحدود المصرية، وهنا لعب الطمع والجشع بعقول القادمين الجدد إذ نجح كونت بريتانى في الإيقاع بقافلة إسلامية وافرة الثروة كانت في طريقها إلى دمشق، وأوقع بها في كمين عند عبورها نهر الأردن، ولقى هذا النجاح ترحيباً كبيراً من الصليبيين لأن مؤونة الجيش كانت قد قاربت على النفاذ، لكن هذا النجاح أيضاً آثار غيظ وضيق هنري كونت بار Henri conte Bar، فأصر على الخروج لملاقاة

(١) بردج : المرجع السابق، ص ٢٥٥، رنسيان : المرجع السابق، ج ٣، ص ٣٥٨ .

(٢) عن تفاصيل المكاسب التي حققها الصليبيون من خلال إتفاقية يافا ١٢٢٩. انظر : ابن الأثير : الكامل، ج

١٢، ص ٤٨٢، وانظر أيضا ماير : المرجع السابق، ص ٣٣٨ .

(٣) رنسيان : المرجع السابق، ج ٣، ص ٣٧٢، ولقد أطلق عليها المؤرخ ستامبولي "صليبية البارونات"

انظر ستامبولي : المرجع السابق، ص ٢٣٠ .

المصريين للحصول على الشرف والغنيمة . ولما كان الجيش المصري المقابل له هذه المرة أقوى وأكثر تسليحاً فقد نصحه ثييو والبارونات المحليين أن يتريث وأن يعود بالعسكر، لكنه رفض واتهمهم جميعاً بالجبن، ودفعه غروره وحمقه إلى أن يأمر باستراحة جيشه في منخفض بين التلال الرملية على ساحل البحر، لينالوا قسطاً من الراحة، وهنا أوقع بهم الجيش المصري لولا كونت يافا الذى نجح فى سحب الكثير من الجنود. لكن النتيجة النهائية كانت هزيمة كبيرة لكونت بار لقى على أثرها مصرعه، وقتل معه ألفاً من جنوده، كما أسر منهم ما يزيد على ستمائة جرى نقلهم إلى مصر، ولما حاول ثييو أن يتدخل لإنقاذ ما تبقى من الجيش منعه فرسان الشرق الفرنجى، ولم يغفر لهم ذلك أبداً، على الرغم من أنه لم يكن بمقدوره فعل شيء، لأن الجيش تحرك بعد أن تضاعل عدده إلى عكا<sup>(١)</sup>.

وهكذا لم تحقق حملة ثييو كونت شمباني شيئاً يذكر، اللهم إلا إضعاف موقف الصليبيين أكثر وأكثر، وإذا كانت المعركة السابقة التى خسرها الصليبيون تسمى معركة غزة الأولى، فقد تعرضوا لخسارة أشد وأنكى فى معركة غزة الثانية ١٢٤٤م/٦٤٢هـ، حيث كانت الخسارة فيها فى القوة البشرية قد جعلت قلاع الشرق الفرنجى فى حالة يرثى لها، ولم يفق هذه المعركة فى الخسائر سوى معركة حطين، لكن ما يعنينا هنا أنه على الرغم من نجاة إمارة أنطاكية من آثار هذه الهزيمة والخسارة بسبب علاقتها الطيبة بالبابوية عن طريق لوسيين سيجينى Lucienne Sinsigine الإيطالية زوجة أمير أنطاكية بوهمند الخامس Bohmend V، (١٢٣٣-١٢٥١م/٦٣١-٦٤٩هـ) إلا أن أقارب وأصدقاء زوجة الأمير

(١) لم يستطيع ثييو السيطرة على رجاله الذين كان كل منهم المغامرة والحصول على أكبر قدر ممكن من

الغنائم، فتجاهلوا هدف الحملة الأصلى وهو السيطرة على عسقلان، انظر :

Les Gestes des Chiprois, pp.118-120, Eracles, pp.414-15.

ونظر أيضاً : أبو شامة : النذل على الروضتين، راجعه عزت الصيغى، ط٢، بيروت ١٩٧٤، ص ١٧٠.

الإيطالية والذين دعتمهم للقدوم إلى الشرق أزعجوا بارونات أنطاكية وسببوا لهم الكثير من المتاعب<sup>(١)</sup>.

أما حملة لويس التاسع الفاشلة، وبقاؤه في الشرق الفرنجى ست سنوات بعيداً عن مملكته، فلم ينجح عنها سوى نتيجة هامة مؤداها : أن المملكة الصليبية في القدس لم يعد بوسعها إنتظار شيء من الغرب غير المبالي بمصيرها، وعليها أن تهتم بقاها الخاصة وتعتمد عليها، بيد أنها غرقت في صراعات حزبية عقيمة بعد ذلك<sup>(٢)</sup>، وبالتالي أصبحت مسألة الدعوة إلى القيام بحملة إلى الشرق مسألة شاقة، بينما تهبأت الفرص لنيل كسب روجى بالقيام بحملات أخرى أقل مشقة، فتحولت إلى رحلات تبشيرية اعتقد أصحابها أن الكلمة أقوى في التأثير من السيف، كما يقول رنسيمان-، فماتت الفكرة الصليبية، وصارت نسياً منسياً<sup>(٣)</sup>.

الحديث السابق عن الأزمات التى تسبب فيها القادمين الجدد من الصليبيين للفرنج البلديين، وأثره على تعقد العلاقة بين الحزبين يجرنا إلى الحديث عن الأسباب والعوامل التى يمكن استخلاصها مما سبق والتي أدت إلى تحول التنافس إلى صراع وعداء بين طرفى المشكلة مما عمق أزمة العلاقة بينهما.

لم يكن من السهل توحيد هذين الفريقين في وجهة نظر واحدة إزاء الأخطار المحدقة بكيانهم، وكان الأمر الواضح أنهما سيظلان في غالب الأحيان على طرفى نقيض<sup>(٤)</sup>، فالمؤرخين المعاصرين للأحداث كما يقول "هاملتون جب" صاغوا وجهة نظرهم بالتركيز الشديد على مسألة الإنقسام وتبعاتها، وأن هناك حزبين أو جماعتين إحداهما تمثل الشياطين أو الأشرار والأخرى تمثل الأبطال، ورغم المحاولات الجادة التى ابدتها وليم الصورى والمؤرخون

(١) رنسيمان : المرجع السابق، ج٣، ص ٤٠١ .

(٢) بالار : المرجع السابق، ص ٢٤٠، رنسيمان : المرجع السابق، ج٣، ص ٤٤٥، ٤٧٤، بروج: المرجع السابق، ص ٢٦٦ .

(٣) رنسيمان : المرجع السابق، ج٣، ص ٥٨٠، ٥٨٢ .

(٤) ماير : المرجع السابق، ص ١٢٩ .

المكملون له، وكذلك إرنول والحواليات الأخرى لتقديم تفسيرات لنشوء العداوة والصراع بين الفريقين، إلا أن الصورة تبدو ضبابية وغير واضحة المعالم، لأنها ارتبطت عند هؤلاء المؤرخين بقضية الولاء الشخصي، والأحقاد والعداوات والتي غالباً ما املت سلوك التشيع والموالاة لأحد الفريقين دون الآخر<sup>(١)</sup>.

بيد أننا سنحاول جاهدين تلمس أسباب العداوة والصراع بين فريق القادمين الجدد، المحب للمغامرة والحرب، والهجرة، والطامح للفوز بالثروة والجاه، والمستقبل الطيب، وبين الحزب الآخر، حزب المستوطنين أو بارونات الشرق الحريص على استخدام الحكمة، وتبني سياسة دفاعية حكيمة هدفها الحفاظ قدر الإمكان على ما تحقق من أهداف ومن رخاء اقتصادي، وحياة اجتماعية مستقرة إلى حد ما، والحريص كل الحرص على توازن القوى بين الدويلات الصليبية وبين المسلمين.

يمكن تقسيم أسباب العداوة والصراع بين الحزبين إلى ثلاثة أقسام إحداهما يخص القادمين الجدد، والثاني يخص الفرنج المستوطنين، والثالث يخص العلاقة بين الطرفين. فيما يتعلق بداية بالأسباب التي تخص القادمين الجدد، يمكن أن نشير إلى أن غلبة الطابع اللصوصي لبعض القادمين الجدد، كان أحد أهم الأسباب الموجبة للعداوة بين الفريقين وكان أبرزهم في هذا الخصوص أرناط أورينو دو شاتيون الذي اعتاد على مهاجمة القوافل الإسلامية وسلبها وتدمير السلام بين المسلمين والصليبيين<sup>(٢)</sup>، وكذلك ما فعله أفراد حملة

(١) Gibb, H.: The decline and fall of Jerusalem, 1179-1189, in setton, vol. I, Philadelphia, 1958, pp. 591-592.

(٢) في نوفمبر ١١٦٠م/٥٥٦هـ كانت الحركة الموسمية لقطعان الأغنام من جبل للكام إلى سهل نهر القرات قد أغرت رينو دو شاتيون على الإغارة على هذه المنطقة، وأثناء عودته ساهمت قطعان الماشية والإبل والخيول التي كان يسوقها لمنه في بعض حركته، فوقع في كمين نصبه له أمير حلب مجد الدين، ورغم استئصال رينو في القتال إلا أن القوات الإسلامية تعوقت في عددها على عدد رجاله، فأحاطوا به وأسقطوه عن جواده وأسروه، حيث أرسل هو ورجاله مقيدين بالجبال إلى حلب، ليظل في الحبس مدة ستة عشر عاماً، جزاء لصوصيته. انظر، ابن الأثير: التاريخ للباهر، ص ١٠٩، وليام الصوري: للمصدر السابق، ج ٢، ص ٨٦٨-٨٦٩. وانظر أيضاً، ملير: للمرجع السابق، ص ٧١، رنسيان: للمرجع السابق، ج ٢، ص ٥٧٧.

١٩٧م/٥٩٤هـ من الأمان من سلب ونهب فى عكا<sup>(١)</sup>، بينما حول الجشع الكثير من القادمين فى الحملة الخامسة إلى لصوص<sup>(٢)</sup>، كذلك كان من هذه الأسباب أيضا تدنى أخلاق كثير ممن قدم من الصليبيين، وتشبع روحهم بالجشع والطمع الذى كاد يملب السكان المستوطنين من الفرنج كل ما يملكون، والأدلة على ذلك كثيرة ومتوعة، نذكر منها فقط ما حدث من صدام بين أهالى عكا والقادمين الجدد فى عام ١١٩١م/٥٨٧هـ، حينما قام الفرسان الجدد بالسيطرة على منازل السكان الأصليين بعد استعادة عكا من صلاح الدين، وحينما طالب السكان بمنزلهم قالوا لهم أن هذه المنازل والدور لهم بحق الغزو. وهنا دار حوار بين ملك فرنسا وريتشارد قلب الأسد فى هذا الموضوع، انتهى إلى قيام الفرسان الجدد برد الدور إلى أصحابها الأصليين بشرط أن يقوم أعيان البلاد باستضافة هؤلاء الفرسان طول مدة مقامهم فى البلد<sup>(٣)</sup>، يضاف إلى ما سبق ذكره أن كثرة من قدم إلى الشرق من المجرمين والشواذ وبعض المحكوم عليهم فى جرائم والذين جاؤوا بحجة التكفير عن خطاياهم، ولم يروا فقط غير أنفسهم، أذاق المستوطنين من الفرنج البلديين مرارة شدتهم، وكل الإشارات التى أورثتها المصادر الغربية فى الحملات الأولى أو الثالثة أو الخامسة أو السابعة تدل على تقضى الفجور والفواحش والسراقات والمسكر والخلاعة باعتبارها صفات متأصلة فى كل من قدم من جنود أو

(١) أشار صاحب ذيل وإيم للصورى إلى قيام فرسان حملة ١١٩٧ من الأمان إلى إخراج أهالى عكا من ديارهم واغتصابها، حتى أن الفرسان البلديين الذين كانوا قد خرجوا للقتال عندما عادوا وجدوا منازلهم وقد احتلت، ونساؤهم وقد أخرجن من بيوتهن، وحل محلهن الأمان فاستشاط الأهالى غضباً وأخبروا الكونت هنرى بما حدث، الذى استشار بدوره صاحب طبرية الذى صمم على ضرورة ردع الأمان ومحاربتهم. للمزيد انظر: ذيل وإيم، ص ٢٧٤، وانظر أيضا، ماستاك: المرجع السابق، ص ٢٧١، رنسيان: المرجع السابق، ج ٣، ص ١٧٨-١٧٩.

(٢) حسين عطية: المرجع السابق، ص ٢٤.

(٣) انظر إلى تفاصيل هذا الحوار فى ذيل وإيم للصورى، ص ٢٠٩-٢١٠، وانظر أيضا: حسين عطية،

المرجع السابق، ص ٢١-٢٢.



قواد صليبيين من الغرب الأوربي<sup>(١)</sup>. وقد اتسم طابع معظم هؤلاء القادمين بالعنف، ونفاذ الصبر، والشعور الوحشي بالقوة، وعلى الجملة السلوك البربري بكل ما تعنيه الكلمة من معنى لذا فقد كان الفارق واضحاً بين هؤلاء وبين الفرنج المستوطنين وهو الفارق الذي لاحظته بوضوح المؤرخون المسلمون مثل أسامة بن منقذ الذي عبر عن ذلك بقوله كل من كان قريب عهد بالبلاد الفرنجية أجدى أخلاقاً من الذين تبدلوا وعاشروا المسلمين<sup>(٢)</sup>، بل وصفهم المؤرخ ابن واصل أيضاً بالغرباء<sup>(٣)</sup>.

ويرى بعض المؤرخين أن ذلك لم يكن غريباً خاصة وأن البابوية حاولت أن تجعل من كل الصليبيين حجاجاً، ومن هنا أصبح السلوك البربري للفرنج في آسيا الصغرى، أو في

(١) فوشيه دو شارتر : المصدر السابق، ص ٢٤٣ ، وكذلك :

Richard of Devizes, Crusade of Richard Coeur de lion, in Chronicles of the Crusades, London, 1898, pp.47-48.

أنا كومنيا : المصدر السابق، ص ٣٩٠-٣٩١ . ويشير استامبولي إلى أن عكا كانت مكاناً خطيراً يأوى

القتلة الذين يشكلون الفئة الغالبة من السكان، وكان يتجمع بها أيضاً حثالة البحر المتوسط الذين استغلوا

الحروب الصليبية على أمل البدء في تكوين ثروات وحياة جديدة، انظر : استامبولي : المرجع السابق، ص

٦١ . وكذلك : Holmest, op.cit,p.3.

(٢) يروي أسامة بن منقذ قصة حدثت له في هذا الصدد حيث يقول "فمن جفاء أخلاقهم قبهم الله، أننى كنت إذا زرت بيت المقدس، دخلت إلى المسجد الأقصى، وفي جانبه مسجد صغير قد جعله الفرنج كنيسة . فكنت إذا دخلت المسجد الأقصى وفيه الداوية وهم أصدقائى يخلون إلى المسجد للصغير لأصلى فيه، فدخلته يوماً فكبرت ووقفت للصلاة، فهجم على واحد من الإفرنج مسكنى ورد وجهتى إلى الشرق وقال "كذا صل" فعاد الداوية دخلوا إليه وأخرجوه عنى، وعدت أنا إلى الصلاة، فاغتفلهم وعاد هجم على ذلك بعينه ورد وجهى إلى الشرق وقال "كذا صل" فعاد الداوية دخلوا إليه وأخرجوه، واعتذروا إلى وقالوا "هذا غريب، وصل من بلاد الإفرنج هذه الأيام، وما رأى من يصلى إلى غير الشرق" فقلت "حسبى من الصلاة" فخرجت، فكنت اعجب من ذلك الشيطان، وتغيير وجهه ورعدته، وما لحقه من نظر الصلاة إلى القبلة. انظر ابن منقذ : المصدر السابق، ص ١٣٤، ١٣٥ .

(٣) ابن واصل : المصدر السابق، ج ١، ص ١٤٠ .

بلاد الشام عملاً من أعمال التقوى والورع<sup>(١)</sup>. كذلك كان من ضمن أسباب العداوة ذلك التعصب الدينى المقيت الذى غلب على سلوك القادمين الجدد أو ما يمكن أن نطلق عليهم هنا "إفرنج الحملات"<sup>(٢)</sup>، وهو التعصب المرتبط بروح التعصب الذى ساد الغرب الأوروبى بصفة عامة خلال العصور الوسطى، وخاصة أن هذا المجتمع كان يقوده رجال مثل برنارد أسقف كليرفو، وهو مجتمع يتباهى ببربريته وفضاظته وسذاجته الدينية ويرى فيها كل فضائله، مجتمع يرتبط بالتنشئة العسكرية الصارمة التى تغرس فيهم صفات الشجاعة والإقدام وقوة التحمل، مع تغليف كل ذلك بحالة من حالات التنين العاطفى، الذى يجعل الفارس أسير عاطفة دينية جياشة، ولو أنها مشوبة بالاعتقاد فى الخرافات والغيبيات، بفعل سيطرة البابوية والكنيسة على الحياة فى أوربا فى ذلك الوقت، وهناك من المصادر العربية من أثبت مدى تأثير الكنيسة فى هذا الجانب وعلى هذا التنين العاطفى فى سلوك هؤلاء القادمين الجدد من الغرب الأوروبى<sup>(٣)</sup>.

هذا التعصب الدينى جعلهم يتسمون بالقسوة والوحشية التى بدت بشكل واضح فى المذابح التى أتزلوها بالمسلمين وخاصة خلال الحملة الصليبية الأولى لكن الغريب أن يستمر

---

(١) ومن غريب ما يروى فى هذا الخصوص أن البابا أنوسنت الثالث قام بإرسال صغار النبلاء والمغامرين من جميع الفئات المحكوم عليهم فى جرائم حرب إلى الأراضى المقدسة، مما أدى إلى تطهير المجتمع فى أوربا من هذه الفئات بينما صار الوضع فى الشرق عكس ذلك تماماً، حيث طلب منهم وشجعهم على سرقة ونهب كل ما هو نفيس من المسلمين، وبعد القيام بعمليات السرقة والنهب يمنحهم بركاته، وهكذا يكسبون الجنة، انظر ستامبولى : المرجع السابق، ص ٥١، وفى هذا الخصوص يشير دوكانج إلى القادمين الجدد باسم الحمقى أو الأبناء الحمقى Filios Hernaude بسبب طيشهم وإفراطهم فى المسكرات. انظر : Ducange, op.cit,p. 55.

(٢) يفضل الدكتور حسين عطية أن يطلق هذه التسمية المذكورة على القادمين الجدد، انظر حسين عطية، نفس المرجع، ص ٤٤، ماير: المرجع السابق، ص ١٢٩ .

(٣) يشير ابن القلانسى إن الصليبيين كانوا يأخذون معهم كنيسة متنقلة فى تحركاتهم العسكرية..انظر ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق، ص ٢١٣. وانظر أيضا: قاسم عبده قاسم: صورة المقاتل الصليبي فى المصادر العربية، المجلة التاريخية المصرية، العدد ٢٧، لسنة ١٩٨١، ص ١٧

مسلك هؤلاء القادمين الجدد بنفس الطريقة طيلة سنوات الحروب الصليبية في الشرق، وأبرز دليل يثبت هذا الكلام ما حدث قبيل سقوط عكا النهائي ١٢٩١م/٦٩٠هـ، عندما جاء بعض القادمين الجدد من الإيطاليين، الذين كانوا في غاية الشوق لقتل كل مسلم ومسلمة من أجل محبة الرب، وقد أغاظهم تعامل السكان البلديين مع المسلمين وتبادلهم المتاجر معهم، فقاموا بإهانة هؤلاء السكان البلديين في الطرقات، وسكروا وعربدوا طوال الأمسيات، وعندما مضت على وجودهم ثلاثة أسابيع قاموا بأعمال شغب في المدينة فقتلوا كل شخص بدا لهم أنه مسلم، ودب الذعر في رجال ونساء المدينة، كما روع قادتهم، ورغم نجاح المسلمين في إخفاء بعض نويهم، إلا أن العنف إزداد والمذابح كثرت، وعند انتهاء هذه الأزمة اعتقل بعض قادة الفتنة وعذبوا، لكن الدمار قد تم، وعندما أخبر السلطان قلاوون الألفى (١٢٨٠-١٢٩٠م/٦٧٩-٦٨٩هـ) بذلك، قرر أن الوقت قد حان لرمي الفرنج في البحر، فكان سحق عكا بعد ذلك بقليل أيام الأشرف خليل بن قلاوون (١٢٩٠-١٢٩٤م/٦٨٩-٦٩٤هـ)<sup>(١)</sup>.

أما فيما يتعلق بأسباب العداوة بين الفريقين - المرتبطة بالفرنج المستوطنين فيمكن إجمالها فيما يلي : طابع الحذر والاحتراس المبالغ فيه من جانبهم حيث لم يرغبوا في دخول معارك إلا إذا كان نتائجها محسومة لصالحهم، يعكس الفريق الآخر المتشبع بالحماسة والتعصب ضد المسلمين - كما ذكرنا - وهي أمور ساهمت في تأجيج مشاعر الصراع وتزايد المشاكل بين الحزبين، وقد أشارت المصادر الإسلامية إلى طابع الحذر والاحتراس هذا عند الصليبيين البلديين، الذين كانوا يميلون إلى القيام بعمليات عسكرية محدودة، ويبحثون عن النصر السريع السهل متوسلين إلى ذلك بالحيلة والخداع<sup>(٢)</sup>.

(١) المقرئى : كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، قام بنشره محمد مصطفى زيادة، القاهرة ١٩٧٠، ج ١، ق ٣، ص ١٠٠٣-١٠٠٤، انظر أيضا بردج : المرجع السابق، ص ٢٩١ .  
(٢) يقول ابن منقذ ما نصه "وهم... أكبر الناس احترازا في الحرب". انظر : أسامة بن منقذ : المصدر السابق، ص ١٧ .

ويرى نفر من المؤرخين إمكانية تبرير هذا الحذر في ضوء طبيعة الوجود الصليبي ببلاد الشام، إذ أنهم واجهوا عدة مشاكل عسكرية تكتيكية واستراتيجية فرضت عليهم المبالغة في الحذر والحيطه، كما أنهم كانوا يسعون إلى تحقيق أهداف محدودة مثل الاستيلاء على بعض المناطق ذات الأهمية الدينية البالغة بالنسبة لهم، ولذلك نهجوا نهجاً دفاعياً في حروبهم بعد الجيل الأول<sup>(١)</sup>، كذلك لطبيعة مصالحهم في ظل التعايش السلمى مع المسلمين، عارضوا وصول الوافدين الجدد من الصليبيين، ذلك لأن الحرب ستؤدى إلى اضطراب شؤونهم، وتعطل مصالحهم التجارية مع المسلمين<sup>(٢)</sup>؛ كما أنهم لم يتوانوا عن تأكيد عدم واقعية فكر المحاربين الذين أتوا من بلاد بعيدة اعتقاداً منهم بأنهم سوف يحصلون على كل شئ بقوة السلاح، دون أن يهتموا بمعرفة أى شئ عن البلاد التى سوف يغزونها<sup>(٣)</sup>، كذلك ساهم شعور الفرنج المستوطنين بأن القادمين الجدد غرباء عنهم فى كل شئ<sup>(٤)</sup> فى رفضهم للدخول فى تبعية هؤلاء المغامرين ومقاومة روح الجشع والطمع التى ميزت سلوكهم، فقد شعروا بأنهم بمنأى

(١) قاسم عبده قاسم : صورة المقاتل، ص ٢٨ . Gibb, H., op.cit, p. 592.

(٢) الحويرى : المرجع السابق، ص ٨١، استامبولى : المرجع السابق، ص ٥٩ .

(٣) قبل سقوط عكا بفترة وجيزة كان بارونات الشرق يرفضون بشكل واضح ما تتطوى عليه الحرب من ارتباك واضطراب، ولذلك لم يعجبهم ما قام به بعض القادمين الجدد من الإيطاليين وما أحدثوه من مذابح بالسكان من المسلمين وغيرهم، إذ كانوا يجوبون الضواحي وقتلوا كل من له لحية اعتقاداً منهم أنه مسلم، فما كان من البارونات المحليين إلا أن وشوا بهؤلاء إلى رجال السلطان المملوكى الأشرف خليل بن قلاوون، وأوضحوا له أن ما فعل ذلك بالمسلمين هم الفرنج من الغرب أو الوافدين الجدد، فكان ذلك من اكبر الأسباب التى أوجبت فتح عكا. للمزيد من التفصيل حول هذه الواقعة. انظر : Les Gestes de Chiprois, p. 238. المقريزى : السلوك : ج١، ق٣، ص ٧٥٣-٧٥٤ . وأيضاً الحويرى : المرجع السابق، ص ١١١، رنسيان : المرجع السابق، ج٣، ص ٦٨٨، ستامبولى : المرجع السابق، ص ٦٠ .

(٤) بكره أرنول الصليبيين الجدد ويعتبرهم متعطلين حمقى خاصة الألمان، الذين عجزوا عن فهم أى شئ عن عقلية أهل الأرض وعاملوهم بمعرفة ورعونة، ومن موقع السيادة والتسلط .

انظر : Ernoul, op.cit, pp.221-222.

عن أية وصاية مهما كانت، لكن هذا لا يعنى أنهم قطعوا صلتهم بوطنهم الأم أو الأصلي أوربا، كما أنه لا يعنى أيضا عدم تفكير بعض الأسر التى تولت الحكم فى أى نوع من الوصاية، بل مارس بعضها بالفعل تلك الوصاية، وذلك لن أول معطى فرضته الجغرافيا أن الشرق اللاتينى كان ضعيفاً وهشاً ومحاطاً بالأعداء<sup>(١)</sup>. يرتبط بالعامل السابق عامل آخر مهم هو ظهور الاتجاهات الوطنية لدى الفرنج المستوطنين، وهو الأمر الذى جعلهم أكثر حرصاً على حياتهم ومستقبلهم. وزاد من إحساسهم بالانتماء إلى الشرق الفرنجى، ما خلقوه من روابط اسرية أوجدت عائلات مغلقة لم تسمح لأى قادم جديد أن يدخل إليها أو يصاهرها، ومعظمها من العائلات الغنية. ولذلك فقد رفضوا تماماً نوايا القادمين الجدد فى منازلهم الأوضاع التى كسبوها فى الشرق ومشاركتهم فيها بدعوى إغائتهم، فاعتبروهم دخلاء وأجانب، وصارت الكراهية لهؤلاء الغرباء عاملاً مشتركاً مثلما حدث فى مقاومة مناسيس دى هيرج كندسطليل الملكة ميلسند، وأكثر الناس حظوة عندها، وما حدث من مناوأة ثيبرى دو فلاندر، أورينو دو شاتيون أوميلون دو بلانسى، وآل لوزينان وغيرهم<sup>(٢)</sup>.

يأتى بعد ذلك أهم عامل تحكم فى سلوك الفرنج المستوطنين وخلق مشاكل لا حصر لها مع الوافدين الجدد، وهذا العامل يتعلق بالتغيرات التى حدثت لهؤلاء المستوطنين فى السلوك والتصرفات وطريقة الحياة، من خلال بقائهم واستقرارهم فى الشرق، وهى تغيرات أبرزتها بعض المصادر اللاتينية والمصادر العربية سواء بسواء<sup>(٣)</sup>، وسنذكر منها الكثير من الأمثلة التى توضح هذا التعبير الذى لم يكن أبداً على هوى الوافدين الجدد.

(١) كاهن : المرجع السابق، ص ١٢٥ .

(٢) العرينى : المرجع السابق، ص ٤٩، ماستاك : المرجع السابق، ص ٢٥٢، رنسيان : المرجع السابق، ج

٣، ص ٦٥٤ .

(٣) أسامة بن منقذ : ص ١٣٧-١٣٨، فوشيه دو شارتر : المصدر السابق، ص ٣١٦، انظر أيضا :

Lamb, H. The Crusades, New York, 1930, p.56

فقد ظهرت تغيرات في الفكر والثقافة، وهي تغيرات تعود إلى معايشة العرب المسلمين، وتبادل الحديث مع رجال من نوى العلم والثقافة منهم، فتحول كثير من فرسان الغرب الذين أتوا بخشونتهم وفضاظتهم إلى رجال مهذبين ذي ثقافة وعادات طيبة. لقد كان بلدوين الأول مثلاً قسماً في شبابه متقفاً، بينما شغف عموري الأول بالقراءة وولع بدراسة القانون والتاريخ، وهو الذي طلب من وليم الصوري كتابة تاريخ للصليبيين<sup>(١)</sup>، كذلك كان حنا إيلين نموذجاً للبارونات المتحضرين من الجيل الثاني، راعياً للفنون، مهتماً بالأدب، دارساً عظيماً للقانون<sup>(٢)</sup>.

وكان همفري دي تورون يجيد العربية بطلاقة، وعمل كمترجم بين صلاح الدين وريتشارد قلب الأسد، كذلك كان هناك رينوسيد صيدا، وبلدوين إيلين يتكلمان العربية أيضاً<sup>(٣)</sup>، وهذا الأمر يحتاج إلى وقفة لتبيان مدى وحجم تأثير الفكر الإسلامي على هؤلاء الصليبيين المستوطنين، ومدى عدم تأثر الفرنج العابرين به، فإذا كان الفرنج البلديين قد استخدموا وفضلوا الأطباء العرب في علاجهم أفلم يستخدموا معلمين عرب أيضاً<sup>(٤)</sup>. تغيرات في وسائل الراحة ووسائل الترفيه والتسلية ومن أشهرها عند الفرنج المستوطنين إرتياد الحمامات الشرقية، وسماع المغنيين، ومشاهدة الرقص، وعرض المسرحيات، وكذلك لعبة النرد التي انتشرت بشكل كبير، وكان يلعبها بلدوين الثالث طوال

---

(١) Longnon, J. Les Francais d'Outremer, Essai sur l'expansion Francaise dans le bassin de Medierranee, paris, 1929, p.143.

(٢) الحويري : المرجع السابق، ص ٢١٩ .

(٣) يشير هولمست إلى أن الفرنجة من الجيلين الثاني والثالث ممن عاشوا في الأرض المقدسة قد تحدثوا العربية العامية أكثر من حديثهم بالعامية الأوروبية، وذكر من المترجمين بجانب ما ذكرنا ليفيس لى برون Ivis le Batron ونيكولاى حاكم عكا Nicolas de Acre كما نجح ستيفن الأنطاكي في عام ١٢١٧ في ترجمة أعمال الطبيب العربي على بن العباس إلى اللاتينية . انظر :

Holmest , U.T, op.cit, pp. 21-23.

(٤) أسامة بن منقذ : ص ١٣٨، وانظر أيضا : حسين عطية : المرجع السابق، ص ٧٢ .

الوقت. وفي أنطاكية جرى حمل صناديق النرد خلال القيام بغزوات أو غارات ضد المسلمين، كذلك زاول الأمراء الصيد بالباز على الطريقة العربية، وكان الصيد من التسلية المفضلة لديهم وهو نفسه الذى جعل الصداقة تتشا بين أسامة بن منقذ وغيره من الأمراء الصليبيين<sup>(١)</sup>. كذلك عرف الصليبيون صيد الثعالب والصقور والأسماك وغيرها، كما عرفوا سباقات الخيول وما كان يحدث بها من أنواع الترف، كذلك عرفوا قيام العازفون والملحنون المتجولون بأداء عروضهم وكانت أدوار التقليد والتهرج تؤدى فى الساحات المفتوحة بحيث يحضرها الشعب، كما كان هناك بائعات الهوى اللاتى انتشرن فى شوارع كل مدينة<sup>(٢)</sup>.

أما التغييرات فى البيوت والمنازل والنواحي الصحية؛ فمع مرور السنين أصبحت منازل الفرنج المستوطنين مترفة إلى حد الدهشة، التى أصابت القادمين الجدد من الغرب، فقد كانت بعض البيوت مفروشة بالسجاد الفارسى والسائر الدمشقية، وكانت الأرضيات من الموازيك، حتى الجدران رصعت بالرخام، وانتشر الأثاث المحفور من العاج، ومن الخشب النادر، وكانت الموائد تزين بأدوات من الفضة أو البورسلين الصينى المجلوب مع القوافل القادمة من الشرق، وفى بعض المدن الشمالية حيث المياه متوفرة كانت المنازل الكبيرة تحتوى على حمامات خاصة<sup>(٣)</sup>. كذلك تميز الفرنج المستوطنين بأنهم كانوا أكثر نظافة من وطنهم فى أوربا، واستفادوا من التقدم الطبى لدى المسلمين بفضل تفوق أطباء المسلمين عليهم، فقد كان طبهم بدائياً غربياً كما أشار أسامة بن منقذ<sup>(٤)</sup>، ومن الجدير بالذكر أن بعض

(١) أسامة بن منقذ، المصدر السابق، ص ٣٤ وانظر أيضاً سميل : المرجع السابق، ص ٨٥، وكذلك :

Holmet, U.T., Op.cit,p.18.

(٢) أسامة بن منقذ، المصدر السابق، ص ٦٧، ٦٨ . انظر أيضاً : انتونى بردج : المرجع السابق، ص

١٢٤ ، الحويرى: المرجع السابق، ص ٧٩-٨٠

(٣) باركر : المرجع السابق، ص ٦٩، بردج : المرجع السابق، ص ١٢٥ .

(٤) أورد أسامة قصصاً عن طب الإفرنج تتم عن الجهل المطبق، ومنها استعمال الشمع لعلاج مريض كان

مشرفاً على الموت، وتم استخدام الشمع فى سد انفه وفمه، فمات لساعته، انظر : أسامة بن منقذ، المصدر

السابق، ص ١٣٧-١٣٨ .

ومن الجدير بالذكر أن بعض الأطباء من أبناء البلاد الأصليين سواء من المسلمين والمسيحيين الشرقيين، هم الذين عالجوا عمورى الأول فى مرضه الأخير، لذا اتخذ عمورى الأول من سليمان بن داود وابنه الأكبر أطباء له، بينما كان الإبن الثانى لسليمان مريضاً لخيول الملك أو سائساً لها. كذلك اتخذوا الخدم والمربيات الوطنيات لرعاية أطفالهم<sup>(١)</sup>.

وأخيراً كانت تغييرات المأكّل والملبس متنوّعة، فقد كان الفرنج المستوطنين أفضل طعاماً من الوافدين الجدد، فلم يكن طعامهم غنياً ومتنوّعاً فحسب، بل كان يطبخه السكان المحليين البارعين. وقد حفلت موائدهم بصنوف الدجاج وطيور السمان والحجل والحمام، وكذلك لحوم الضأن والبقرة والوعل والغزال والأرانب، وكلها كانت تطبخ مع الثوم والبصل والأعشاب الطيبة وتتبل مع الخردل والفلفل أو تقدم مع الصلصة اللذيذة. كما كانت هناك وفرة فى أسماك المياه العذبة، وتضمنت المائدة كذلك أنواع الخضراوات المطبوخة، والحبوب والبازلاء والأرز، بينما كان الخيار والخس يؤكلان طازجين. وتنوّعت ثمار الفاكهة التى لم يكن الفرنج الغربيين الوافدين يعرفونها، حيث كانت ثمار الموز والبرتقال والليمون والبلح والخروب، وثمار شجر الجميز التى اطلقوا عليها تين فرعون، كذلك الخوخ والسفرجل والتين العادى، وكان عصير الفواكه رخيصاً ومتوفراً<sup>(٢)</sup>. أما الملابس فكان ينبغي أن تتواءم مع البيئة الجديدة مرتبطة بمناخها، فشتاء الشام قارس البرودة بشكل لا يقل عن مثيله فى أوربا، لكنه قصير الأمد، أما

(١) رنسيان: المرجع السابق، ج ٢، ص ٥٠٦-٥٠٧.

(٢) بردج: المرجع السابق، ص ١٢٢-١٢٣.



الصيف فهو حار وطويل ولا تنفع معه إلا الملابس الفضفاضة وكلها أشياء عابها عليهم الفرنج الوافدين وانتقدهم بسببها رغم كونها من ضروريات الحياة التي لا غنى عنها<sup>(٣)</sup>. في ظل هذه التغييرات الكثيرة في طرق الحياة والمأكل والملبس والمسكن وغيرها والتي أشرنا إليها كان من الصعب كما يقول فوشيه أن يرجع المرء إلى الغرب طالما وجد في الشرق مثل هذا النعيم، حيث يقول "إن من ولد غريباً مثل الآن مثل من ولد هنا، ومن ولد أجنبياً صار من أهل البلاد، وأولئك الذين كانوا فقراء في الغرب، اغتاهم الرب في هذه الأرض، ومن كانت نقودهم قليلة هناك، لديهم هنا نقود لا تحصى، والذين لم يكن لديهم سكن هناك يمتلكون مدينة هنا، بفضل الرب"<sup>(٤)</sup>. هذه التحولات والتطورات أثارت وأغاضت القادمين الجدد الذين كانوا لا يزالون يعيشون في شظف من العيش، فقد كانت ملابسهم لا تزال من الصوف، ولما اهتموا بغسلها، حيث لم تتوفر وسائل الغسل والنظافة إلا في بعض المدن القديمة، بل أن الأثاث في أكبر القلاع وأضخمها كان خشناً، وكافياً لسد الحاجة، أما البسط فلا تكاد تعرف، وكان الطعام غليظاً مفتقراً إلى التنوع، ولا سيما في شهور الشتاء الطويلة. وعلى الجملة لم تكن الحياة في الغرب إلا حياة التعب والشقاء، وليس للحياة الخاصة إلا نصيب ضئيل<sup>(٥)</sup>. في ظل هذا حدثت الفجوة في العلاقة بين الفريقين، وبدأت المناقشة والصراعات، واختلق الأزمات، وهذا يجرنا إلى الجزء الأخير في هذا الموضوع وهو أسباب العداوة بين الحزبين والتي

(١) كان الرأي العام الصليبي يعارض ارتداء الملابس الشرقية، وهذا واضح من رسالة هنري دى شمباتي لصالح الدين إذ بعث يقول له "تعرف يا سيدي أن استخدام ولبس الزي الإسلامي من التنك والعمامة أمر يلحق بنا العار والخزي، ولكنني سوف ارتدي هذه الملابس توطيذا لصدائقتنا وتبجيلا لشخصك". انظر: y, E.G., Les Colonies Franquies des Syrie, Paris, ١٨٨٣, pp. ١١-١٢. المرجع السابق، ص ٥٧.

(٢) فوشيه الشارترى: المصدر السابق، ص ٣١٦.

(٣) رنسيمان: المرجع السابق، ج ٢، ص ٥٠٧.

أوجدتها طبيعة العلاقة فيما بينهما . خلال التعامل بين الوافدين الجدد من الصليبيين والفرنج المستوطنين برزت ثلة من المشكلات والأزمات التي تسببت في تعقيد العلاقة بينهما وهو الأمر الذي ترك آثاره على مستقبل الكيان الصليبي بصفة عامة، ويمكن رصد هذه التطورات والعوامل التي أبرزت الأزمة في الجوانب التالية :

فقد كان شعور الشك المتبادل بين الطرفين في دوافع ومشاعر كل طرف منهما تجاه الآخر واضحاً، فالبارونات الشرقيين ساورهم الشك في أن الوافدين الجدد ما قدموا إلا لتحقيق أطماع خفية، أو أنهم رتبوا خططهم على أن يقيموا لأنفسهم إمارات جديدة . دُعْمٌ وغذى هذا الشعور أن كثير من الإمدادات القادمة من الغرب كان يتألف معظمها من المجرمين وشذاذ الآفاق، كما أن بارونات الشرق لم يكن لديهم أدنى استعداد لقطع علاقاتهم التجارية مع المسلمين، وهى العلاقات التي استفادوا منها كثيراً، ومن هنا لم يكن لديهم أو فسى وسعهم أن يسهموا فى الشهوة الجامحة التى اندفع بها فرسان الغرب المتعصبين لمهاجمة المسلمين<sup>(١)</sup>. أما القادمين الجدد فكثيراً ما شككوا فى قدرات الفرنج المستوطنين واتهموهم بنقائص عدة مثل الجبن، وقلة الشجاعة ، والتراخى، والكسل والخيانة أحياناً، وكثيراً ما كانوا ينظرون لنصائحهم ونداءاتهم بتوخى الحذر - فيما يفعلون وفيما يقدمون عليه - نظرة شك وارتياب بل اعتبروها فى بعض الأحيان نداءات ساذجة، وأبرز دليل على ذلك ما حدث من الكونت روبرت أرتوا Cont Robert D'Artois شقيق لويس التاسع فى حملته على مصر حينما استخف بنصائح فرسان الداوية والاستبارية الخبيرين بالمنطقة والعارفين بطرق قتال المسلمين، ولم يسمع إلا لنفسه ويطانته، بل اتهمهم بالجبن والخور لدرجة أن عجت كبير الداوية

(١) باركر : المرجع السابق، ص ٦٨-٦٩ .

الذي رد عليه قائلا "لا أنا ولا إخواني نعرف الخوف، ولن نبقى في الخلف، بل سنذهب معك، ولكن إعلم جيدا إنه لا نحن ولا أنت سنعود أبدا"<sup>(١)</sup>، وكان ما كان من هزيمة مروعة ومقتل الكونت دارتو، والكثير من رجاله في المنصورة<sup>(٢)</sup>

كذلك كانت الاتهامات المتبادلة بين الطرفين طوال فترة التواجد الصليبي ببلاد الشام متواترة، فقد كان كل طرف حريصاً على تلويث سمعة الطرف الآخر بسبل من الاتهامات كان بعضها صحيحاً أحياناً، والكثير منها لا أساس له من الصحة، وإن تزايدت اتهامات القادمين الجدد بالذات للفرنج للمستوطنين، ومن خلال استعراضنا لمصادر تلك الفترة تبين لنا ما يلي:

كان جاك دي فيترى أسقف عكا أعدى أعداء الفرنج البلديين، سلقهم بالسنة حداد، واتهمهم اتهامات كثيرة متنوعة، فقد وصفهم قائلاً: "البولانيين جيل شرير فاسد، وأبناء أشرار منحطين، ترعوعوا في ترف ورفاهية، وتعموا معتادين على الحمامات بدلا من المعارك، وأمنوا الحياة الصاخبة غير النظيفة"<sup>(٣)</sup>، منغمسين في ارتداء الملابس الناعمة كالنساء، مزينين مثل زوايا المعبد المزخرفة، واتهمهم كذلك بأنهم كانوا بطيئين كسالي، وجلين جبناؤ ضد

(١) أشار جرانفيل إلى أن عدد القتلى من الفرمان الذين كانوا مع لكونت دارتو بلغ خمسمائة قتيل. للتفاصيل، انظر:

جرانفيل: مذكرات جرانفيل القديس لويس، حياته وحملاته على مصر والشام، ترجمة وتعليق حسن حبشي، القاهرة،

١٩٦٨، ص ١١٤-١١٥، ستامبولي: المرجع السابق، ص ٢٩٩-٣٠٠.

(٢) على العكس من الكونت روبرت أرتوا كان الملك ريتشارد قلب الأسد، حيث أشار المؤرخ المجهول للحملة الثالثة، بأن أحد أسباب النجاح الذي حققه للملك ريتشارد قلب الأسد كان يعود إلى استماعه الجيد وإنصاته لنصائح الفرنجة البلديين في الكثير من الأحداث، وأثر عنه قوله "إننا اغراب عن هذه البلاد، والرأى عندي أن سلامتنا تتمثل في العمل بما يشير به علينا أهل البلاد، وأن نعمل بما يروونه أجدي عليهم لأنهم أدرى بمصالحهم" بل وصل به الأمر لتشكيل لجنة من حكماء بلرونات للشرق لمعرفة كيف يسرون الأمور، كان ثلاثة أرباع هذه اللجنة من الفرنج البلديين (كانت اللجنة مكونة من عشرين عضواً، منهم خمس من الداوية وخمس من الإمبرتارية، وخمس من بلاد سوريا، وخمس من زعماء الفرنسيين). لمزيد من التفاصيل انظر:

المؤرخ المجهول للحملة الثالثة، ص ١٢٩-١٣٠، ٢١١، ٢١٢.

(٣) جاك دي فيترى: المصدر السابق، ص ١٠٤-١٠٥.

أعداء المسيح، ولا يشك أحد في مدى احتقار المسلمون لهم، بعكس حال آبائهم الذين كان صوتهم كالرعد، لذلك كان يخشاهم المسلمون<sup>(١)</sup>.

ويواصل دى فيترى اتهاماته قائلا "لقد كانت تغمرهم السعادة من أجل العيش بسلام مع المسلمين، وأنهم كثيراً ما كانوا يتشاجرون مع بعضهم بعضاً، وتنشب فيما بينهم حرب أهلية، وغالباً ما استدعوا أعداء الإيمان لكي يساعدونهم ضد ذويهم من الصليبيين، ولا يشعرون بالخجل لتضييعهم القوات والأموال التي كان عليهم استخدامها ضد المسلمين"<sup>(٢)</sup>.

ويشير فيترى إلى أن البولاني تعلموا إخفاء معانيهم في خطب مأكرة مغطاة بالأوراق لكن دون ثمار، مثل أشجار السرو العقيمة، حتى أن هؤلاء الذين ليس لديهم خبرة يجدون صعوبة في فهم حيل خطبهم واستيعابها، ولا يستطيعون تجنب الانخداع بهم<sup>(٣)</sup>. واتهم فيترى البارونات المحليين بأنهم أفسدوا الحجاج الأتقياء القادمين، بل سرقوهم واحتالوا عليهم ونهبوهم وفرضوا عليهم ضرائب باهظة، ولم يكتفوا بذلك بل

---

(١) يزايد فيترى كثيراً في تمجيد الجيل السابق للصليبيين، وبأن المسلمون كانوا يفرون منهم هلعاً وخوفاً، وأن المسلمين لا يخافون الجيل الجديد من الصليبيين إذ لم يكن بينهم بعض فرسان الغرب أو الفرنسيين" وهذه مغالاة شديدة، ومحاولة للتقليل من قيمة القوة الإسلامية، والحقيقة التي يعرفها الجميع أن السبب في نجاح الصليبيين الأوائل يعود إلى تفكك المسلمين وتشرذمهم وليس لقوة الصليبيين، كما أن هذا لا ينفي قيام سكان الشام من المسلمين وهم عزل من السلاح بجهد الصليبيين والدفاع عن أراضيهم. انظر، ما فعله مودود، وبلك بن بهرام، واقسقر البرسقى في بدايات المقاومة الإسلامية، رغم قلة مواردهم، وضعف جيوشهم. للمزيد انظر: ابن القلانسي، ص ١٧٧-١٧٨، وابن الأثير: الكامل، ج ١، ص ٤٩٥-٤٩٦، ٥٠١، ٥٠٢، وانظر أيضاً سعيد عاشور: المرجع السابق، ج ١، ص ٢٤٩-٢٥٠ وما بعدها.

(٢) فينزي: المصدر السابق، ص ١٠٥.

(٣) المصدر السابق، ص ١٠٦.

أطلقوا عليهم لقب "الحنقى"، رغم أنهم هم المجانين والحمقى وأنهم يلومون الذين يدافعون عنهم<sup>(١)</sup>.

تأكدت بعض اتهامات جاك دو فيترى من خلال بعض المصادر الأخرى مثل المؤرخ المجهول لحملة ريتشارد قلب الأسد، إذ أشار إلى أن الجميع يقصد المستوطنين بالذات، قد طرحوا جانباً رداء الحكمة والوقار، ولم يتورعوا عن المجاهرة بالمعاصي، كما أنه اتهم كونت طرابلس ريموند الثالث صراحة بالاحتيال وخيانة الصليبيين، حينما أشار قائلاً "لقد كان يضمّر الغدر لشعبه، ويعزم على خيائته حسب اتفاق سابق بينه وبين صلاح الدين"<sup>(٢)</sup>. ولم يكتف بذلك بل تحامل بشكل واضح على كل من باليان إيلين، ورينو حاكم صيدا، وأورد أن كل ما قاما به من أعمال للصلح مع صلاح الدين ونجدة الصليبيين كأنها التراب ذرته الريح<sup>(٣)</sup>.

أما الرحالة بورشارد Burkhard من جبل صهيون فيشير إلى انتشار الفساد بين الفرنج المستوطنين قائلاً "إن الآباء المسيئين ينجبون أولاداً أسوأ منهم، والذين ينحدرون من سلالاتهم أحفاداً أكثر حقايرة ورداءة، وهم يعيشون في الأراضي المقدسة بأقدام ملوثة تنس المقدسات"<sup>(٤)</sup>. في حين أشار القديس برنار دو كليرفو إلى ظاهرة أخرى قشت بين الفرنج

---

(١) أشارت بعض الكتابات إلى تعرض بعض القادمين الجدد غير الحريصين إلى السرقة في المدن المزدهمة الصاخبة، كما وقع بعضهم ضحية النصب، كما كان هناك أحد البارونات من قطاع الطرقي، واسمه ريموند سيد. نيفين في منطقة البترون، كثيراً ما قام بسلب ونهب بعض الحجاج من الوافدين الجدد، انظر : Ernoul, op.cit,pp.320,324 ، ويتفق مع ذلك ما أورده ابن منقذ من أن هناك سيدة وابنها كانا يستكرجان الحجاج ويحتالان عليهم ويسرقان ما معهم من مال ثم يقتلونهم . انظر للمزيد : ابن منقذ : المصدر السابق، ص ١٣٩ . وانظر أيضاً : قاسم عبده قاسم، الحياة الاجتماعية، ص ٣٨٠ .

(٢) المؤرخ المجهول لحملة الثالثة، ص ٢٥، ٢٦، ٣٣ .

(٣) المصدر السابق، ص ١٦١، وهنا نجد تحامل شديد ونسيان لما قام به باليان بالذات من جهود حتى تم الصلح مع صلاح الدين وأطلق سراح الكثيرين من الأسرى في بيت المقدس، يعد أن حاصرهم المسلمون وكادوا أن يقضون عليهم. انظر، رنسيان : ج٢، ص ٧٤٨-٧٥٠ .

(٤) بورشارد من دير جبل صهيون، المرجع السابق، ص ١٧١-١٧٢ .

المستوطنين وهي انعدام الانضباط عند جماعات الفرسان، حيث أشار إلى ان الفرسان تنسونا وتخنثوا، ولبسوا ملابس تفاخرية مزركشة بالحريز، وكانت اسلحتهم ذات نقوش وزخارف، ومرصعة بالذهب والأحجار الكريمة، ويتساءل قائلاً : "أهذه شارات عسكرية أم حلى نسوانية" ويقول أيضا "لقد ارسل الفرسان شعورهم كالنسوان، وكانت شعورهم على عيونهم بحيث لا يمكنهم الرؤية، كما أنهم حزموا أرجلهم بسرًاويل طويلة باذخة، واختفت ايديهم في أكمال يتلاعب بها الهواء<sup>(١)</sup> .

يضاف إلى ما تقدم من اتهامات ضد الفرنج المستوطنين، ما أشاعه الكتاب والرحالة عن صورة رجال الدين في المملكة الصليبية، وهي صورة مهتزة توضح حجم الثراء والترف الذي كان عليه رجال الدين في ملابسهم وما يتزينون به، وكذلك في انغماسهم في شئون الحياة العامة، بل وارتكاب الرذائل، وأبرز مثال على ذلك صورة بطريك بيت المقدس المدعو هرقل Heraclius<sup>(٢)</sup>، التي كان شاهداً عليها رالف نيجر وهي صورة توضح الترف الذي كان عليه في ملابسه وزينته وعطوره وكلها صور يبغضها الرب كما أشار نيجر<sup>(٣)</sup> .

(١) ماستاك : المرجع السابق، ص ٢٣٧ .

(٢) البطريرك هرقل Heracle, or Heraclius كان رجلاً فرنسي الجنسية من مقاطعة أوفرنى Auvergne وكان أول أمره رئيساً لأساقفة قيسارية، ثم انتخب بطريكاً بعد تأثيرات وضغوط غير طبيعية، وذلك رغم معارضة وليم الصوري رئيس أساقفة صور، وأعظم مؤرخي عصره، وقد تم تعيين هرقل بطريكاً بعد وفاة البطريرك أموري بعشرة أيام. وقد توفي هرقل عام ١١٩١م طبقاً لرواية كتاب الحوليات الإنجليزية، وإن كان المؤرخ المكمل لوليام الصوري قد أشار إلى وفاته في العام التالي لهذا التاريخ... للمزيد انظر : وليم الصوري : المصدر السابق، ج ٢، ص ١٠٢١، Emoul, op.cit, pp. 83-86 , CF, also, Mas Latrie, L.De, Les Patriarches Latins de Jerusalem, in R.O.L.T.I., Paris, 1983, p.18.

(٣) يقول رالف نيجر "لقد رأيت بطريك بيت المقدس عندما جاء إلى الغرب يلتمس المساعدة المادية، إذ جاء في حلته الأنيقة ولباسه الضخم، يصاحبه موكب يزدان بالذهب والفضة يتم عن الثراء. وعندما سمعت مطلبه بشأن التماس المساعدة أصابني الاشمزاز، وذلك بسبب ثروته المستمرة، وصوته المنفر، يضاف إلى ذلك العديد من الروائح العطرية والبهارات التي تفوح من ملابس البعثة المرافقة للبطريك والمشبعة بهذه الروائح والعطور النفاذة التي تجعلك تدير رأسك من فرط قوة رائحتها". للمزيد انظر : بزبور : المرجع السابق، ص ٢٢٧ .

نتوقف هنا قليلاً - لمحاولة تنفيذ تلك الاتهامات الكثيرة التي جاءت على لسان فيترى وغيره من الكتاب، إذ نلاحظ الكثير من الأمور المهمة والجديرة بالاعتبار والتي جعلت كثيراً من سلوكيات الفرنج المستوطنين تبدو على النحو الذي كان مثار اعتراضهم وتقريرهم، وهذه الملاحظات يمكن إجمالها فيمايلي:

كان لزاماً على الفرنج المستوطنين محاولة التأقلم مع البيئة الجديدة بكل مفرداتها، من ناحية المناخ مثلاً الذي كان شتأؤه قارس البرد يضارع مثيله في أوروبا، وإن كان قصيراً، وصيفه طويل شديد الحرارة. مما حملهم على اتخاذ أمور كانت غير مألوفة لهم من قبل في الملابس والأطعمة وساعات المكوث في المنازل... إلخ. كما أن طباع الشمال القوية لم تعد صالحة في الشرق، ولا بد أن ينتهجوا أساليب الوطنيين. كذلك كانت أمراض المنطقة غريبة عليهم، وبالتالي لم يصلح أطباؤهم لعلاجها، فكان لا بد من اعتمادهم على الطب الوطني، ومن هنا تحتم عليهم تعلم كيف يفهمون السكان الوطنيين، وتعلم كيفية التعامل معهم في العمل<sup>(١)</sup>.

لم تكن حياة الفرنج في الشرق هينة سهلة، كما لم تكن بنجوة من الأخطار، فقد عاشوا في بلاد ترعرع فيها التآمر والاغتيال، فقد تربص بهم المسلمون عبر الحدود المتاخمة لهم، فما من أحد يدرى ما قد يتعرض له من طعنة خنجر بيد أحد الفداوية، أو ما يتجرعه من سم بيد أحد خدامه، أو أمراض غريبة عليهم لا يعلمون عنها شيئاً. ورغم دور الأطباء المحليين في علاج المصابين لم يكن الواحد في الشرق يعمر طويلاً، وكانت للنساء أوفر حظاً لعدم تعرضهن لمخاطر المعارك<sup>(٢)</sup>.

انهيار القوة البشرية للمملكة، وقلة أعداد من بقي كان عاملاً خطيراً، حيث انتشر الخوف بين الفرنج في الشرق، وهذا الخوف جعل الكثيرين منهم رجالاً قساة القلوب يميلون

(١) رنسيان : المرجع السابق، ج ٢، ص ٥١٠.

(٢) رنسيان : المرجع السابق، ج ٢، ص ٥٢٠.

إلى الغدر والخيانة، كما أن القلق شجعهم على الانغماس فى اللهو والمباتل، فارتاع الزائرون لما شهدوه من البذخ وسوء الخلق، وكان البطريرك هرقل أسوأ المرتكبين لهذه الموبقات<sup>(١)</sup>.

هل من الممكن التوفيق بين عقلية من يريدون الحرب (أى القادمين الجدد) وبين الذين

استقروا ورجعوا فى العايش السلمى مع المسلمين (أى الفرنج المستوطنين).

من الواضح أن الإجابة على هذا السؤال صعبة للغاية، إذ كيف يمكن تأسيس حكومة

مسيحية وسط محيط إسلامى معارض يكرهها ويتمنى زوالها، فى الوقت الذى لا يحدث فيه

الفرنج عن الصلح أو التوفيق. فهل كان لابد من قتل كل المسلمين الذين يقابلونهم، وهل كان

الصلبييون فى عجلة من أمرهم للعودة إلى ديارهم، وإن أمكن بغنيمة مقبولة.. كل هذه

تساؤلات لم يتم أحد بطرحها على الأهل فى بداية الحرب الصليبية الأولى<sup>(٢)</sup>.

بالتالى من نافلة القول الإشارة إلى أن من قبل البقاء فى الأراضى المقدسة كان عليه

تعلم فن جديد، هو كيفية العيش فى دولة مسيحية وسط عالم إسلامى<sup>(٣)</sup>.

كانت انطباعات معظم الحجاج الذين مروا على الأراضى المقدسة مروراً سريعاً مثل

جاك دو فيترى، انطباعات دائماً سريعة وعابرة ومزيفة وغير حقيقية وسرعان ما تتلاشى.

فرحلة العودة الشاقة التى تزيد على ثلاثة أشهر تجعلهم ينسون ما لاحظوه وعرفوه وجمعوه

من أفكار وآراء وشعر وقصص وحكايات وغيرها<sup>(٤)</sup>.

آراء جاك دو فيترى بالذات آراء مغرضة وغير موضوعية ومتحيزة ولم تراع

ظروف مجتمع الشرق الفرنجى الذى تكون ، فقد نسى أو تناسى هذا الرجل أن يدرك ما

يخفى حول غشاء الترف والبذخ البراق من أحوال سيئة، فبرغم ما يتطلى به الملك من

(١) Ernoul, op. cit, pp. 83-87; Eracles, op. cit, T. 11, p. 88, CF, also, Mas-latrie, op. cit, pp. 19-20. (١)

(٢) استامبولى : المرجع السابق، ص ٦١-٦٣ .

(٣) سميل : المرجع السابق، ص ١١٠ .

(٤) Holmest, U.T., op. cit, p. 23. (٤)



الحرير والذهب، كان يفترق إلى المال اللازم لدفع نفقات عساكره. أما فارس الداوية المعتز بنفسه الذي راح يحصى أكياس المال، فإنه يصح استدعاؤه للمشاركة في المعارك التي تبلغ من الضراوة والعنف ما لم يشهد له الغرب مثيلاً، وقد ينفص عرس كما حدث في الجليل عام ١١٨٣م/٥٧٩هـ عند سماع قذائف المسلمين تلك القلعة وبها الضيوف على مواندتهم، فما غلب على حياة الفرنج بالشرق من المرح والبذخ لم ينفصل قليلاً عن الاضطراب والخوف والقلق<sup>(١)</sup>.

لم يكن جاك دو فيتري متحيزاً ومتعصباً ضد الفرنج البلديين فقط بل كان متعصباً ضد كل ما هو غير فرنسي، فلم يسلم من قدحه وغيظه، حتى رينشارد قلب الأسد، فقد وصفه بالتهور والعجلة وإلحاق الأذى بجميع الصليبيين، وأن ما حققه من سلام مع المسلمين لم يكن سلاماً مشرفاً<sup>(٢)</sup>، وإذا ما سحبتنا أحكام دو فيتري هذه التي تتميز بالتلون والتعصب وتصطبغ بالمصالح لوجدنا أن قدحه ونمه للفرنج المستوطنين كان مجرد تنفيس ينم عن مشاعر عدائية غير واقعية ضدهم، وستتضح الصورة أكثر عندما ننقل إلى الصورة المضادة، أي الاتهامات التي كالتها الفرنج المستوطنين للقادمين الجدد.

وقد تمثلت اتهامات المستوطنين للقادمين الجدد فيما يلي :

إذا كان الوافدون الجدد قد لاموا على الفرنج المستوطنين وقوعهم في الفحش ووصفهم بالتخنث والكسل والتراخي والانغماس في المباديل كالشرب والزنا وغيرها فإن هذا الاتهام مردود عليه بأنه متى ما توافر لهؤلاء القادمين بعض الاستقرار وبعض الترف كانوا يتحولون إلى اللخاعة والدعة والفحش والتخنث هم الآخرين. وهذا ما أشارت إليه المصادر، فالمؤرخ أمبرواز Ambroise أشار إلى تصرفات الفرسان الفرنسيين خلال أحداث الحملة الثالثة، فأشار إلى أنهم ذهبوا إلى صور للعب والرقص، وكانوا يتبذلون في ملابس مزركشة كالنساء،

(١) رنسيان : المرجع السابق، ج ٢، ص ٥٢١، الحويرى : المرجع السابق، ص ٨١ - برارور : المرجع السابق، ص ٣٢٥ .

(٢) دى فيتري : المصدر السابق، ص ١٦٨ .

وانغمسوا في الشراب حتى الصباح، وكان كل واحد منهم ينتظر دوره للحصول على امرأة، وكانوا عموماً يتسمون في سلوكهم بالوقاحة والسنتهم لا تكف عن السباب واللعنات في هذا الخصوص<sup>(١)</sup>، أي أنه حالما توفرت أسباب الراحة كان الخروج والمبازل والبحث عن المومسات من عكا بالذات<sup>(٢)</sup>. كما أثبتت مصادر أخرى لن السكر والتفحش والخلاعة كانت سمات متأصلة في نفوس كل من قدم من قواد أو جنود من الغرب الأوربي<sup>(٣)</sup>، فكيف تسنى لأمثال هؤلاء المؤرخين الصاق تهمة الفحش والتخنث والكلل بالفرنج المستوطنين أو بارونات الشرق الذين استقروا في الأرض العربية، أليس هذا تناقضاً صارخاً<sup>(٤)</sup>.

كذلك كان غرور واعتداد كثير من القادمين الجدد بأنفسهم بشكل أثار حفيظة الفرنج المستوطنين أمراً موجباً للتنافس والصراع، حيث كانوا يحرصون على التفاخر بأنفسهم رغبة في ذبوع مجددهم، وهو الأمر الذي جعل المؤرخ المجهول للحملة الثالثة يقرر أنه حينما يذكر أسماء الأمراء فلن يذكر إلا من قام بأعمال جليلة وإذا دعت الضرورة الملحة لذلك حتى لا يمل السامع والقارئ<sup>(٥)</sup>.

يضاف إلى ما تقدم الغيرة الشديدة والتي تملكت قلب كثير ممن قدم من الغرب حديثاً خاصة وهو يرى بعينه مدى الترف والبذخ الذي عاش فيه كثير من الشرقيين، خاصة آل إبلين سادة بيروت الذين كانوا يمتلكون مناجم الحديد الواقعة قرب المدينة، وأسرة مونتفورت سادة صور الذين حازوا مصانع السكر، حتى أن المؤرخ أمادي قدر قيمة ما ينتج من إقطاع فيليب دو مونتفورت في تبنين عام ١٢٤١م بحوالي ستين ألف دينار إسلامي، كما أن جاي سيد جبيل

Ambroise, op.cit,p.183. Richard of Devizes, op.cit.,pp.44-46. CF, also, Holmest, (١) op.cit,p.18.

(٢) أنتوني بريدج : المرجع السابق، ص ٢١٦ .

3)Richard of Devizes, op.cit,pp.47-48.

4)roise. op.cit.,p.233; Richard of Devizes, op.cit, loc.cit,

وانظر أيضاً : حسين عطية : المرجع السابق، ص ٢٨-٢٩ .

(٥) المؤرخ المجهول، الحرب الثالثة، ص ٩٧ .

دو مونتفورت في تبين عام ١٢٤١م بحوالى ستين ألف دينار إسلامي، كما أن جاي سيد جيبيل قد أقرض ليوبولد دوق النمسا خمسين ألف دينار، وأقرض فريديريك الثاني ثلاثين ألف دينار<sup>(١)</sup> كما أن الفيض المفاجئ من الحجاج القادمين كثيراً ما خلق مشكلة عويصة في التموين، فالمحصول أحياناً يكون ضعيفاً، والطعام نادراً وغالى الثمن، لدرجة أن الفقراء ماتوا من الجوع، ومن هنا كان الأمر يستلزم سرعة عودة الكثيرين من القادمين إلى أوروبا في أقرب وقت ممكن، وهو أمر كان يحدث أحياناً ولا يحدث في أحيان أخرى، مما خلق حالة من القلق والاضطراب الدائم في نفوس الفرنج المستوطنين<sup>(٢)</sup>.

وأخيراً فقد ساهم بعض القادمين بعنفهم المفرط، وتجاوزاتهم اللامحدودة ضد المسلمين في إرهاب السكان، خاصة وأنهم لم يفرقوا في عنفهم بين المسلمين والمسيحيين الشرقيين، وأبرز دليل على ذلك ما فعلته الجماعات البافارية والتي كانت غالباً ما تحصل على الغنائم بأقصى سرعة<sup>(٣)</sup>.

كل الاتهامات السابقة، ومحاولات كل طرف إلحاق الأذى وتشويه سمعة الطرف الآخر، كانت سبباً رئيسياً في زيادة الفجوة في العلاقة بين الطرفين مما أدى إلى تزايد أزمة العلاقة بينهما.

والجدير بالذكر أن صعوبة اندماج القادمين الجدد في المجتمع الفرنجي القائم من المستوطنين كانت سبباً مهماً جداً في زيادة الأزمة بين الفريقين، فقد رفض القادمون الجدد الثقافة الغربية عليهم واعتبروها أمراً فاسداً مشيناً، بعكس البلديين الذين حدثت لهم عملية تمشرق أو كما يسميها البعض استشرق Levantization, or Orientalization، وهو مصطلح يعنى تبنى المجتمع الصليبي للتقاليد والقيم الشرقية. وكانت نظرة القادمين الجدد

---

١) Amadi, Chronique d'amadi et de Strambaldi, publées par, Mas Latrie, Paris, 1891, vol I, p.186, CF.also, La Mont,op.cit, pp.171-174.

٢) استامبولي : المرجع السابق، ص ٦٤ .

٣) المرجع السابق، ص ٦٤-٦٥ .

الرافضة لهذا التمشق معتمدة من وجهة نظرهم على صحة ديانتهم المسيحية وعلى المذهب الكاثوليكي وعلى الإسلام، وأن جنسهم هو الأرقى بين أجناس البشر، ورغم التقدم الحضارى عند المسلمين، إلا أنهم اعتقدوا أن التمشق يعنى التخثث المرئول المحترق، ويعنى كذلك الترف المنموم، وعدم الكرامة، والاعتقاد فى خيالات وتأملات وأفكار سخيفة، وأن التمشق إجمالاً يتعارض مع الحقائق التى أوحى بها الأنجيل المقدسة، وأبرز مثال للكتب التى عارضت التمشق مجموعة الخطب اللاذعة التى ألّفها جاك دو فيترى أسقف عكا فى القرن الثالث عشر<sup>(١)</sup>.

وقد عبر المؤرخ ابن منقذ عن مسألة رفض الفرنجة والقادمين الجدد الاندماج فى مجتمع الشرق اللاتينى بقوله "إن الفرنجة جنس ملعون لم يندمجوا إلا مع جنسهم"<sup>(٢)</sup>، ومن هنا كانت الصدمة شديدة للقادمين الجدد وهم يرون الفرنج المستوطنين وقد أقاموا علاقات حسنة مع المسلمين استفادوا منها، وتبنوا بعض أساليب المسلمين لدرجة يصعب معها التمييز بينهم وبين المساميين، وهى الأمور التى أثارت حفيظة القادمين الجدد عليهم<sup>(٣)</sup>.

لكن رغم ذلك فإن المدقق لأحوال الفرنج البلديين يجد أن هذا التوافق وهذا التمشق كانت مسألة ظاهرية سطحية فقط، وأن المجتمع الصليبي بشكل عام قد اعتاد عدم الاندماج

(١) جاك دو فيترى : المصدر السابق، ص ١٠١-١٠٧، وانظر أيضا : براور : المرجع السابق، ص ٦١١

(٢) اسامة بن منقذ : المصدر السابق، ص ١١٨، ١٢١، ورغم ذلك كان لأسامة صداقات مع بعض فرسان الفرنج الذين جمعته وإياهم هوايتى الصيد والفروسية.

(٣) كان الفرنج عامة متعصبين تعصبا اهوَج غير عقلانى، وبالتالي فلم يتبنوا طرق المسلمين فى الفنون والبناء وغيرها، وإن كان التأثير الشرقى قد ظهر فى بعض المجالات الخفيفة مثل آداب الطعام والشراب المرتبطة بالقناعة وعدم الإسراف... إلخ، انظر براور : الاستيطان الصليبي، ص ٦١٤، بردج : المرجع

التقافى والاجتماعى فى المجتمع الإسلامى، أى أن عدم التوافق النفسى مع البيئة الجديدة ظل قدرا مشتركا بين الجميع طوال فترة التواجد الصليبي فى بلاد الشام<sup>(١)</sup>.

علاوة على كل ما سبق فقد كانت الخلافات والعداوات والأحقاد الشخصية بين أفراد كل فريق من الفريقين عاملاً من أهم عوامل العدواة والفرقة والانقسام بينهما، والحقيقة أنها كانت خلافات وعداوات أشد وأقوى من الخلافات السياسية، وهذه الخلافات بدت ظاهرة للعيان فى حالة الكراهية الشديدة التى ملأت قلب البارونات الشرقيين تجاه الفرسان المفلسين القادمين من الغرب الذين خفق لهم قلب الوريثات فى الممتلكات الصليبية، وتزوج منهم بعد ذلك مثل رينو دو شاتيون الذى تزوج من ستيفانى دى ميلى Stephanie de Miles أرملة مايلز بلانسى Miles de Plancy، والتى اتهمت ريموند كونت طرابلس باغتيال زوجها، وكذلك جى لوزنيان الذى تزوج من سيبيل أخت بلدوين الثانى بعد أن فضلته على بلدوين ابلين سيد الرملة الذى كان يعيش قصة حب رومانسية فاق منها على هول الصدمة التى زعزعت كيانه وجعلته اشد الحاقدين على جى لوزنيان<sup>(٢)</sup>. كذلك حالة الكراهية الخاصة جدا التى جمعت بين ريموند كونت طرابلس ومقدم الداوية جيرارد دو ريدفور والسبب كما عرفنا من قبل هو رفض ريموند تزويجه من وارثة إقطاع البترون بعد أن وعده بذلك من قبل، وزوجها لأحد أثرياء بيزا واسمه بليفانو الذى يادر دون اكرتاث إلى أن يحمل الفتاة فى كفة الميزان، ثم بذل للكونت ريموند ما يضارع وزنها ذهباً، وبعد هذه الإهانة التى لم يغفرها ريدفور لريموند صار من ألد خصومه وعوده الأول<sup>(٣)</sup>.

(١) سميل: المرجع السابق، ص ٩٩٠ .

(٢) تفرد ارنول بقصة حب بلدوين ايلين دون غيره من المصادر . انظر : Ernoul, op.cit, p.33.

(٣) ذكر ذيل وليم الصورى أن جيراردو ريدفور بعد أن علم بخديعة ريموند له استشاط غاضبا وقال : "إن

اتكونت باعها إلى فلاح جلف وغدا"،... انظر ذيل وليم الصورى، ص ٧١-٧٢ . وأيضا :

Ernoul, op.cit, p.114, CF, also, Miller, Essays on the Latin Orient, Cambridge, 1921, pp.521-23.

والحقيقة أن روح العداء والتحدى التي اندلعت بين الحزبين كانت جذورها قديمة قدم بداية الحملات الصليبية ذاتها، وكفى للتدليل على ذلك من شعور فقراء الفرنج بالضعف تجاه من لديهم طعام من أغنياء الفرنج في معرة النعمان<sup>(١)</sup> خلال حصار أنطاكية في الحملة الصليبية الأولى، بعدما أصاب الأولين الجوع الذي جعلهم ينبشون الأرض بحثاً عن الجذور أو أية حبوب، وعاشوا على أعشاب الحقول لكسر شوكة الجوع، ولما لم يستجب لهم الذين كدسوا الطعام بسبب جوعهم، ولوا الأديار متخليين عن الحصار وقاموا بأعمال سلب ونهب<sup>(٢)</sup>.

هكذا ظهرت الأزمة في العلاقة بين الحزبين لكل الأسباب التي ذكرنا، تلك الأزمة التي أطلت برأسها في مواقف كثيرة، وسببت الكثير من الكوارث التي حلت بالمملكة الصليبية وتوابعها في بلاد الشام وهي كلها تقريباً يجمعها وعاء واحد قوامه الجشع والطمع والرغبة في التسلط والسيطرة، وسلب ونهب الفرنج المستوطنين لما حازوه وحصلوا عليه من مزايا وما عاشوا فيه منترف وبذخ كان أغلبه غشاء براق يخفي ورائه مشاكل كثيرة لا حصر لها. هذه العلاقة المتوترة خلقت جوا مستمرا من عدم الاستقرار الذي أضعف كثيرا من أوضاع الفرنجة عامة في بلاد الشام، ولولا حالة التشرذم والضعف التي كان عليها المسلمون لكان بالإمكان القضاء على الصليبيين قضاءً مبرماً، وما كان لهم أن يستمر بقائهم طوال هذه المدة في بلاد الشرق الإسلامي.

(١) معرة النعمان مدينة كبيرة مشهورة من أعمال حمص بين حلب وحماء ماؤهم الآبار وعندهم الزيتون الكثير والتين، انظر ياقوت الحموي : المصدر السابق، مج ٥، ص ١٥٦ .

(٢) ريمونداجيل : تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ترجمة حسين عطية، الإسكندرية، ١٩٩٠، ص ٩٠-٩١، ١٦٦ .

## الخاتمة

فى ختام هذا البحث نريد أن نؤكد على بعض الأمور المهمة التى نجد أنها جديرة بالتسجيل والتوضيح فى إطار أزمة العلاقة بين طرفى المجتمع الصليبي فى المملكة الصليبية وتوابعها ببلاد الشام :

• كان الفرنج المستوطنون أو النزلاء الذين استقروا بالشرق قد بلغوا من سعة الأفق والتفكير ما لم يبلغه العساكر القادمين من الغرب الأوربي، الذين كانت تحركهم فكرة واحدة فقط، هى أنهم جاعوا لقتال المسلمين من أجل استرداد الأراضى المقدسة التى نشأ بها المسيح، ولذلك اعتبروا من يتسامح أو يتساهل مع المسلمين أو يشبههم عن هدفهم متواطئاً مع المسلمين وخائناً لهم.

• كان للوافدون الجدد حريصين كل الحرص على القيام بمغامرات تتسم بالبسالة، لكنها كانت كذلك مغلفة بالنهم والجشع، والحاجة إلى إحراز نتائج سريعة وصولاً إلى الغنائم، وكلها أمور ساهمت فى تزايد القلق العام فى البلاد وخاصة لدى الفرنج المستوطنين مما أدى إلى ظهور الحقد والخيانة وذلك نظراً لمحدودية الموارد التى كانت تمنع إرضاء كل مطالب ومدع.

• حاول الفرنج المستوطنين بالتدرج التوافق مع ظروف الشرق، كما حاولوا أن يعيشوا مع جيرانهم المسلمين فى ظل شروط ودية. وبمرور الوقت بدأت الفروق بين الطرفين تقل وترسخت طرق ثابتة للحياة بينهما، ولم يعكر صفو هذه العلاقة سوى حماسة وتعصب القادمين الذين كان السؤال الأول لكل واحد منهم "أين أجد مسلماً أقتله"، ولذا كثيراً ما كان قتل الكثير من القادمين فى هذه الغارات نوعاً من التعزية البسيطة للفرنج المستوطنين المعذبين الذين عاشوا القلق والاضطراب فى حياتهم كلما تجدد الصراع بينهم وبين المسلمين بفعل هؤلاء الوافدين.

• رغم كل هذا لم يحاول الفرنج المستوطنين أن يثتوا القادمين الجدد من الغرب عن أهدافهم، وذلك لحاجتهم الشديدة إليهم، فالإمدادات كانت عاملاً مهماً للفرنج البلديين يدعم استمرار

وجودهم وبقاؤهم في بلاد المسلمين، بل فعلوا كل ما وسعهم لتحسين العلاقة مع الوافدين الجدد حتى يتمكنوا من الاستفادة منهم أكبر استفادة ممكنة. وكانت أهم محاولات تحسين العلاقة مع الوافدين تتضمن عدم قطع الصلة بالوطن الأم عن طريق الاستمرار بالساحل، كذلك تزويج وريثات المملكة لرجال قادمين من الغرب الأوربي، والحفاظ على الانتماء لوطنهم الأم من خلال إرسال رفات القديسين إلى الكنائس الأوربية، وإلى جانب ذلك أيضاً سمح الفرنج المستوطنون بأن يتولى الوصاية على الملوك الصغار أو المرضى بعض الأوصياء من القادمين الجدد؛ ليس هذا فحسب ولكن شملت محاولات التقارب مع القادمين أيضاً، تقديم التسهيلات إلى المهاجرين القادمين من الطبقات الدنيا وصلت إلى حد إعفائهم من أمور كثيرة مكنتهم من البقاء والاستقرار، وكذلك محاولة تكريب بعض القادمين على أداء المهام الإدارية التي كانوا يفتقدون الكفاءة فيها، فلم يكن يهمهم سوى مصالحهم الشخصية فقط، وأخيراً كانت محاولة التعلق بأهداب التراث الديني المشترك بين الفريقين كوسيلة لتبعها الفرنج البلديين لتحقيق التقارب المنشود مع نوابهم من الوافدين الأوربيين

• كانت هناك أيضاً بعض المحاولات من جانب القادمين لتحقيق الانسجام والتفاهم والتوافق مع الفرنج المستوطنين، لكنها لم تكن كثيرة، مثل قدوم بعض الشخصيات التي امتازت بالحكمة والسياسة وحسن التصرف وكانت موضع تقدير الطرفين كما وضح ذلك في شخصية كل من ريتشارد كرنوال، والقديس لويس. كذلك نجاح بعض المصلحين الدينيين في تحسين أطر العلاقة بين الطرفين مثل سوجر، والقديس فرنسيس الأسيسي، كذلك كان هناك بعض القادمين الذين امتازوا بالكرم والنخوة والشجاعة والرغبة في العطاء مثل ولكين دو فرير وروبرت ترسيبو من رجال الحملة الصليبية الثالثة وغيرهم.

• لكن هناك أمراً استوقفنا كثيراً يعتبر من أهم النتائج التي توصلنا إليها، وهو أن المساعدات والهدايا والمكوس والضرائب والأوقاف بالغرب، كانت من الأمور التي أدت إلى حفظ توازن مالية الشرق الفرنجي، بل كانت مسؤولة إلى حد كبير عن حالة الترف والثراء التي لامها



القادمون الجدد على رجال الشرق وباروناته، وبالتالي فالدهشة التي أصابتهم شارك في صنعها مواطنوهم في الغرب .

• والجدير بالذكر أنه خلال القرن الثالث عشر الميلادي/ السابع الهجري انقطع ورود القادمين الجدد إلى حد بعيد، لأن الأوضاع صارت غير مستقرة في الغرب، كما ازداد تنافس الدويلات الفرنجية في اليونان، ومن هنا كان التعويض المناسب للمملكة الصليبية وسكانها من الفرنج البلبيين يتمثل فيما يمكن تسميتهم بالصليبيين الموسمييين، الذين كانوا يضعون قوتهم القتالية تحت تصرف الدولة الصليبية لفترة من الزمن . والحقيقة أنهم مثلوا قوة كبيرة إلى جانب طوائف الفرسان دعمت جيش المملكة وقوته . كما أن وجود الجمهوريات الإيطالية التجارية كان من العوامل التي اطالت عمر المملكة رغم الإنقسامات السائدة بين عناصرها، ولولا هذه المدن لكانت سيرة الشرق الفرنجي أكثر ايجازاً وأشد عبوساً .

• فيما يرتبط بما سبق، صارت الدعوة للقيام بحملة إلى الشرق مسألة شاقة وإن تهيأت الفرص لتحقيق كسب روحى بالقيام بحملات أخرى أقل مشقة ونقصد بذلك الرحلات التبشيرية التي اعتقد اصحابها أن للكلمة تأثيراً أقوى من السيف، لكنه في الحقيقة كان تبريراً للكسل والخمول وتأثير النساء على الرجال ببقائهم في أوطانهم، فماتت الفكرة الصليبية وصارت نسيا منسيا، وصار على صليبي الشرق الاعتماد على أنفسهم للدفاع عن وجودهم، وعدم انتظار المعونة من الغرب غير المبالي بمصيرهم، لكنهم بدلا من التوحد والتكاتف غرقوا في صراعات عنيفة كانت إيذانا واضحا بقرب زوال المملكة .

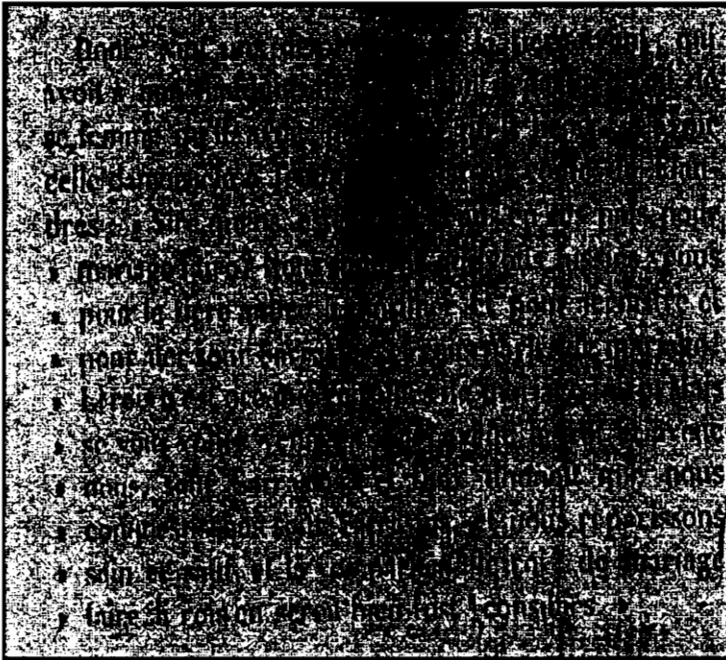
• في النهاية يمكن القول أنه زيادة على ما سبق كان استمرار السلوكيات السيئة من جانب بعض من القادمين الجدد أواخر عهد المملكة من العوامل التي عجلت بزوالها نهائيا، كما ان كل ما لاموه من طيش وسفه وفساد وغيرها من الأمور - على الفرنج البلبيين، وقعوا فيه بصورة أكثر وقاحة طالما توافرت لهم أسباب الترف والراحة، ومن ثم صارت مزاعمهم ودعاويهم ضد البلبيين مزاعم زائفة لا قيمة لها .

## الملاحق

وقع اختيارنا على اثنين من الملاحق من كتاب المؤرخ إرنول، للملاحق الأول يوضح طبيعة العلاقة بين أحد القادمين الجدد الذين لم يقدموا أى دعم للمملكة ولم يهتموا سوى بمصلحتهم فقط وهو ثيرى كونت الفلاندر، ورد فعل أحد البارونات الشجعان على ترده وعدم مساعدته للفرنج البلديين، وهو بلدوين إيلين سيد الرملة وإيلين.

أما الملاحق الثانى فيجسد دور العدوات الشخصية والأحقاد التى تسببت فى كثير من الكوارث للمملكة الصليبية وأدت إلى سقوطها فيما بعد، من خلال الصراع بين ريموند كونت طرابلس، وجيرار دى ريدفورت مقدم الداوية، والذين جمعتهما الكراهية المطلقة خاصة من جانب مقدم الداوية وكانت أحد أسباب هزيمة حطين.

## الملاحق الأول<sup>(1)</sup>



Ernoul, op.cit,p.33.

## الترجمة العربية

كان بلدوين إيلين أحد بارونات الشرق قد انفصل عن زوجته، ورغب في الزواج من أخرى، لكنه بمجرد علما بقدم كونت الفلاندر<sup>(١)</sup>، وعرف ما جاء لأجله قال له: "لقد ظنناك قد أتيت إلى هذه البلاد لتسدى إلينا نصائحك، ولتقدم لنا الدعم والمساندة في قتالنا ضد المسلمين، فوجدناك لا تتحدث إلا عن الزواج"<sup>(٢)</sup>.

وأعلمك أن الملك - في ظل تلك الأحوال - غير مستعد للحديث في أمور الزواج ولا حتى مجرد إسداء النصيح في هذه الأمور الآن. إلا أنك إذا رغبت في الانضمام إلينا وإلى الملك في حربنا المرتقبة ضد المسلمين حتى ينصرنا الله عليهم ونعود سالمين، في تلك الحالة فقط يمكنك فتح باب الحديث عن الزواج مع الملك، وسيقبل ذلك بصدر رحب، وسيكون خير من يقدم لك النصيحة"<sup>(٣)</sup>.

---

(١) المقصود بكونت الفلاندرز هنا هو ثييري، وكان قدومه هذه المرة في عام ١١٧٧م/٥٧٣هـ، وهي فترة كانت مشحونة بالقلق والتوتر خاصة مع تنامي قوة صلاح الدين، وتهديده للوجود الصليبي كله في بلاد الشام.

(٢) المقصود هنا قيام ثييري بتزويج ابنتي عمه الأميرتين سيبيلا وإيزابيلا من ولدي روبرت بيتون، أقرب أتباعه إليه وأكثرهم حظوة عنده. انظر ما سبق، ص ٢٥، ح ٠٢.

(٣) استخدام بلدوين إيلين أسلوب التهكم والسخرية هنا ضد ثييري كونت فلاندر جعله يستشيط غضباً ويتجهز للرحيل من البلاد بأقصى سرعة لأنه لم يتحمل هذه الطريقة في المعاملة من أحد بارونات الشرق، انظر ما سبق، ص ٢٥.

Or vous ai dit de Naples comment elle siet, si vous  
 dirai d'un clerc de Flandres qui ot a son Gyras de  
 Rudefort \* qui en le liere estoit. Pour elle veul dire de  
 lui que ce fu .i. de ciaux par coi la liere fu perdue. Il  
 estoit marissaus de Iherusalem. Il vint qu'en le liere  
 le conte de Triple avoit une dame de castiel a marier<sup>1</sup>  
 et li castiaus dont elle estoit dame avoit nom li Holeran<sup>1</sup>  
 Il vint au conte de Triple, si li pria qu'il li donnast  
 celle dame a feme. Li quens de Triple dist qu'il ne li  
 doncoit mie<sup>2</sup>. Quant Gyras de Rudefort vit que li quens  
 li ot escondite le dame, si fu se dolans, et si courceles  
 qu'il se vendi al Temple; n'ongres puis n'ama le conte  
 de Triple, ains li pourega mal tant com il pout. Et celle  
 haine fu commencemens<sup>3</sup> de li liere perdre, si com  
 vous ores dire et apres<sup>4</sup>. Gyras de Rudefort n'ot gaires  
 este al Temple que li maîtres fu mors; se fist on  
 maistre de lui.

## الترجمة العربية

سبق أن حدثتكم عن نابلس، وكيف كانت أحوالها<sup>(١)</sup>، وسأحدثكم الآن عن أحد رجال الإكليروس من فلاندر ويدعى جيرار دو ريدفور. أو أن أقول أنه كان أحد الأشخاص الذين تسببوا في سقوط مملكة بيت المقدس. كان جيرار عضواً في إحدى الهيئات الدينية في بيت المقدس<sup>(٢)</sup>؛ أتى إلى بيت المقدس حينما كانت كونت طرابلس بنوى تزويجه من إحدى وريثات القلاع<sup>(٣)</sup>، وهي قلعة البترون حيث أتى إلى الأخير وتوسل إليه أن يزوجه من هذه السيدة، إلا أن كونت طرابلس رفض مطلبه<sup>(٤)</sup>.

وعندما رأى جيرار دو ريدفور أنه لم يتمكن من الزواج منها لنتابه غضب بالغ، وتوجه إلى كنيسة الضريح المقدس وتوسل إلى الله أن ينتقم من كونت طرابلس لفعلته تلك. وكانت تلك الكراهية بداية لضياح الأراضي المقدسة.

### بيان بالمختصرات الوارد ذكرها في حواشي البحث

A.H.R.	American Historical Review
Byz.	Byzantion
J.R.A.S.	Journal of the Royal Asiatic Society
M.A.	Le Moyen age
Outre	Outremer
R.H.C.-Doc.Arm	Recueil des Historiens des Croisades, Documents Arméniens
R.H.C.-H.Occ.	Recueil des Historiens des Croisades, Historiens occidentaux
R.O.L.	Revue De L'Orient Latin
Spec.	Speculum
V.R.	Variorum Reprints

(١) المقصود بأحوال نابلس هنا، الاجتماع الذي تم بين بارونات المملكة عشية تعيين جى لوزنيان ملكاً على بيت المقدس وكيف قابل أولئك البارونات هذا الأمر وهم الكارهين لحي والراضين له باعتباره أحد للقائمين الجدد الأعيان من وجهة نظرهم. فكيف يكون ملكاً عليهم، وعلى قائدهم ريموند كونت طرابلس

(٢) المقصود هنا هيئة فرسان اللداوية التي صار ريدفور بعد ذلك مقنماً وسيداً لها.

(٣) هي لينة ووريثة وليام دوريل أمير البترون، والذي كان فصلاً تابعاً لكونت طرابلس، انظر ما سبق، ص ٢٢، ح ١

(٤) اعتبر جيرار دو ريدفور أن كونت طرابلس غرر به وتخلي عن وعده له خاصة وقد زوجها من أحد أثرياء البيازنة المدعو بليغان، وهو الأمر الذي أثار ريدفور الذي نظر إلى بليغان باعتباره مجرد فلاح جلف، انظر ما سبق، ص

## المصادر والمراجع

### أولا : المصادر الأجنبية:

- 1- **Albert d'Aix** : *Historia Hierosolymitana*, ed. R.H.C.-H.Occ. Tome IV, Paris, 1879.
  - 2- **Amadi** : *Chronque d'amadi et de strambaldi*, pupliees par, M. De mas latrie, 2vols., Paris, 1891.
  - 3- **Ambroise** : *The Crusade of Richard lion-heart*, trans from the old french by M.J. Hubert, New York, 1941.
  - 4- **Anna Comnenia** : *The Alexiad of Anna Comnena*, Trans by, E.R.A. Sewter, Great Britain, 1969.
- وقد اعتمدنا على الترجمة العربية لهذا الكتاب بعنوان "الكسياد" للمؤرخة اليونانية الأميرة أنا كومنينيا، ترجمة د/ حسن حبشى، المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة، ٢٠٠٤م
- 5- **Burchard of Mountsion** : *A description fo the holyland*, AD 1280 Trans from the original latin by Aubrey stewart, London, 1896.
- وقد اعتمدنا على الترجمة العربية لهذا الكتاب تحت عنوان "وصف الأرض المقدسة" ترجمة د/ سعيد البيشاوى، عمان، دار الشروق، ط١، ١٩٩٥م.
- 6- **Cafaro de Caschifellone** : *De liberation Civitatum Orientis*, ed. R.H.C.H.Occ. Tome v, Paris, 1895.
  - 7- **Cinamus, J.**, *Deeds of John and Manuel Comnenus*, Trans by Ch. Brand, New York, 1976.
  - 8- **Eracles** : *L'Estoire d'Eracles Empereur et la Conquest de la terre d'Outremer*, ed., R.H.C.-H.Occ, Tome, II, Paris, 1859.
  - 9- **Ernoul** : *La Chronique d'Ernoul et de Bernard le Tresorier* ed, M.L.De Mas Latrie, Paris, 1871.
  - 10- **Fulcher of Chartres** : *A history of the expedition to Jerusalem*, ed, by Harold. S., Fink, Knoxcille, 1968.
- واعتمدنا على الترجمة العربية لهذا الكتاب بعنوان "الوجود الصليبي فى الشرق العربى، الاستيطان الصليبي فى فلسطين، تاريخ الحملة إلى بيت المقدس ١٠٩٥-١١٢٧م تأليف : فوشيه الشارترى ، ترجمة د/ قاسم عبده قاسم، ذات السلاسل، الكويت، ط١، ١٩٩٣م.
- 11- **Itinerarium peregrinorum et Gesta Regis Ricardi**

واعتمدنا على الترجمة العربية لهذا الكتاب بعنوان "الحرب الصليبية الثالثة، صلاح الدين وريتشارد،

ترجمة د/ حسن حبشي، جزءان، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠

**12- Jacque de vitry : The history of Jerusalem, Trans from original latin by, Aubury Stewart, London, 1896.**

واعتمدنا على الترجمة العربية لهذا الكتاب بعنوان "تاريخ بيت المقدس" تأليف يعقوب الفيثري ترجمة،

د/ سعيد البيشاوي، دهر الشروق، عمان، الأردن، ١٩٩٨م.

**13- John of Wurzburg: Description of the Holy land A.D. 1160-1170, Trans by C.W. Wilson, London, 1890.**

واعتمدنا على الترجمة العربية لهذا الكتاب بعنوان "وصف الأراضي المقدسة في فاسطين" تأليف

يوحنا فورزبورج، ترجمة د/ سعيد البيشاوي، عمان، الأردن، ١٩٩٧م **Joinville, Jean de : The life of saicut louis, in Chronicles of the Crusades, London, 1963.**

وقد اعتمدنا على الترجمة العربية لهذا الكتاب بعنوان : مذكرات جوانغيل، القديس لويس حياته

وحملته على مصر والشام، ترجمة وتعليق د/ حسن حبشي، القاهرة، ١٩٦٨ .

**14- La Continuation de Guillaum de Tryre (1184-1197): Par Margaret Ruth Morgan, Paris, 1952.**

واعتمدنا على الترجمة العربية لهذا الكتاب تحت عنوان "ذيل وليام الصوري" ترجمة د/ حسن حبشي،

الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٢م.

**15- Les Gestes des Chyprois, ed.R.H.C.-Doc.Arm, TomeII, Paris, 1906.**

**16- Richard of Devizes : Crusade of Richard Cœur de Lion, in Chronicles of the Crusades, London, 1898.**

**17- Tafel & Thomas : Urkunden Zur alteren Handles und staatsgeschichte der republik venedig, 3 Vols, Vienna, 1856-57.**

**18- Villehardouin, G. La Conquiete de Constantinople, ed Faral, Vol.2, (1203-1207), Paris, 1939.**

واعتمدنا على الترجمة العربية لهذا الكتاب بعنوان "مذكرات فيلهاردوان-فتح القسطنطينية"، ترجمة

وتعليق د/ حسن حبشي، جدة، ١٩٨٢م.

**19- William of Tyre : Historia rerum in partibus transmarini gestarum a tempore successorum mahumeth usque ad annum doimini MCL XXXIV, ed. R.H.C. H.Occ. Tome. I., Paris, 1844.**

واعتمدنا على الترجمة العربية لهذا الكتاب تحت عنوان "تاريخ الحروب الصليبية، الأعمال المنجزة فيما

وراء البحار، نقله إلى العربية د/ سهيل زكار، دمشق، ط١، ١٩٩٠م.

ثانيا : المصادر العربية :

- ١- ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٣م) : أبى الحسن على بن أبى الكرم الشيبانى :  
التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية بالموصل، تحقيق عبد القادر ظليمات،  
القاهرة، ١٩٦٣  
الكامل فى التاريخ، ١٢ جزء، بيروت، ١٩٨٢م.
- ٢- أسامة بن منقذ (ت ٥٨٤هـ/١١٨٥م) مؤيد الدولة أبو مظفر أسامة بن  
مرشد الشيزرى : كتاب الاعتبار، حرره، قليب حتى، مكتبة الثقافة الدينية،  
د.ت.
- ٣- ساويرس بن المقفع : تاريخ البطركة، القاهرة، ١٩٩٩م.
- ٤- ابن شداد (ت ٦٢٣هـ/١٢٢٢م) بهاء الدين أبو المحسن يوسف :  
النوادر السلطانية والمحاسن اليوسيفية، دار الفرجانى للتراث، القاهرة،  
١٩٨٨م
- ٥- ابن العبرى (ت ٦٨٥هـ/١٢٦٢م) : إغريوس أبو الفرج أهرون المالطى  
: تاريخ الزمان، نقله إلى العربية الأب إسحق أرملة، بيروت، ١٩٨٦م.
- ٦- ابن القلائسى (ت ٥٥٥هـ/١١٦٠م) أبو يعنى حمزة بن أسد التميمى :  
ذيل تاريخ دمشق، نشره أ.امدورز، بيروت، ١٩٠٨م.
- ٧- ابن واصل (ت ٦٩٧هـ/١٢٩٨م) جمال الدين محمد بن سالم : مفرج  
الكروب فى أخبار بنى ايوب، ج ١-٣، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة،  
١٩٥٣-١٩٦٠، ج ٤-٥ تحقيق د/ حسنين ربيع، القاهرة، ١٩٧٢-١٩٧٣م.



٨- أبو شامة (ت ٦٦٥هـ/ ١٢٦٧م) شهاب الدين أبي محمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل:

- الروضتين في أخبار الدولتين، جزءان في مجلد واحد، بيروت، د.ت.
- الذيل على الروضتين، راجعه ووقف على أصله عزت العطار الحسيني، ط ٢، بيروت، ١٩٧٤م

٩- الأصفهاني (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠١م) أبو عبد الله محمد بن صفى الدين القرشي المعروف بالعماد الكاتب: الفتح القسي في الفتح القدسي، تقديم وشرح وتحقيق، محمد محمود صبح، القاهرة، ١٩٦٥م.

١٠- المقرئزي (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م) تقى الدين أبو العباس أحمد بن علي: كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، صححه ووضع حواشيه، د/ محمد مصطفى زيادة، القاهرة، ١٩٣٤-١٩٥٧م.

١١- ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٣٨م) شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي: معجم البلدان، خمسة أجزاء، بيروت، ١٩٧٩م.

- 8- Archer, T.H. and Kingsford, C.L. :The Crusades, the story of the latin kingdom of Jerusalem, London, 1919.
- 9- Chatelian, E. Lexique Latin – Francais, Paris, S.D.
- 10- Constable, G. : The Crusading project of, 1150, in V.R., 1979.
- 11- De Collenberg, W.H.R. : Les premiers Ibline, ed., Le Moyen age, T.71 Paris, 1965.
- 12- Ducange : Les familles d'Outremer, Puplicie par Rey, Paris, 1869.
- 13- Duggan, A. : The story of the Crusades (1079-1291) London, 1963.
- 14- Fink, H.S. : The foundation of latin states, 1099-1118 in setton, Vol.1, Philadelphia, 1958, pp.368-409.
- 15- Gibb, H. : The decline and fall of Jerusalem, 1174-1189, in setton, Vol.1, Philadelphia, 1958, pp. 590-621.
- 16- Grousset,R.:Histoire des Croisades du royaume france de Jerusalem,3 Vols.Paris,1948  
- L'Empire du levant, Paris, 1946.
- 17- Holmest, U.T. : Life amonge the Europeans in palestine and Syria in Twelfth and Thirteenth Centuries, in Setton, Vol. IV, U.S.A. 1977.
- 18- Johns, C.N. : The attempt to colonize palestine and syria in the Twelfth and Thirteenth Centuries, in J.R.A.S., Vol., 21, 1964.
- 19- Lamb, H. : The Crusades, New york, 1930.
- 20- La Monte, J. L. : Feudal Monarchy in the latin kingdom of Jerusalem (1100-1291) New York, 1970.  
- John d'Ibelin, The old Lord of Bierot, 1177-1236, in Byzantion, T. 12, 1937.  
- The Lords of Caesarea in the period of the Crusades, in spec, Vol.XXII, 1947, pp.145-161.

- 21-Longnon, J. :** Les Francais d'Outremer, Essai sur L'expansion francaise dans le Bassin de la Medierranee, Paris, 1929.
- 14- Mas Latrie, L.De :** Les patriarches latins de Jerusalem, in R.O.L., T.1, Paris, 1893.
- 15- Miller, W. :** Essays on the latin Orient, Cambridge, 1921.
- 16- Pernoud, R. :** The crusades, Trans by, Ennid McLead, London, 1962.
- 17- Pringle, D. :** The Castel and Lordship of Mirable, V.R., 1979.
- 18- Praver, J.:** The settlement of the Latins in Jerusalem, in spec, Vol. XXVII, 1952, pp.490-503.
- 19- Rey, E.G. :** Les Colonies Franquies de Syrie, Paris, 1883.
- 20- Rohricht (ed):** Regesta Regni Heirosolymitana, 2vols, Insbruck, 1893-1904.
- 21- Smail, R.C. :** The predicment of Guy Luzignan, in Outremer, 1982.
- 22- Van Cleve, T.:** The fifeth Crusade, in setton, Vol.11. Phildelphia, 1962.